

« الروضــة » للمبرد
تقديم ، ونصوص منه

عبد الكريم حبيب

كتاب « الروضة » للمبرّد من الكتب التي لم تر النور بعد . وليس هناك ما يؤكد وجود نسخة خطية منه .

وفي الصفحات التالية جمع لنصوص من الكتاب ، عثر عليها الباحث في ختام مخطوطة لديوان أبي نُواس ، برواية حمزة الأصفهاني .

جاءت هذه النصوص ضمن ردود ؛ كتبها رجل اسمه « العَمّاري » على المبرّد في تخطئته أبا نُواس .

وقد قَدَّم الباحث للنصوص بتعريف بالكتاب ، ودواعي تأليفه ، وموقف مؤلفه من الخصومة بين القدماء والمحدثين .

كتابُ الرَّوْضَةِ لأبي العباسِ محمّدِ بن يزيدَ الثُّمالي المعروف بالمبرِّدِ من كتبِ النقدِ الأولى التي كانَ لها شرَفُ رِيادةِ الفكرِ النَّقْدي العربي في مراحلِهِ الأولى ، وقد ألَّفَهُ المبرّدُ وأهداه إلى محمد بن نصر بن بسام ، كما ورد في تاريخ بغداد ؛ يُسْنِدُ الخبرَ إلى أبي بكر أحمد بن محمد بن أبي جعفر ، عن أبي علي الطوماري ، قال : سمعتُ أبا الفضل بن طومار يقول : « كنت عند محمد بن نصر بن بسام ، فدخلَ عليه حاجبُهُ ، فأعطاهُ رُقْعَةً وثلاثةَ دفاتر كبارًا ، فقرأ الرُّقْعَةَ ، فإذا المبرِّدُ قد أهدى إليه كتابَ الرَّوضةِ و كان ابنه عليٌّ حاضرًا ، قال : فَرَمَى بالجُزْءِ الأوّلِ إليه ، وقال له : انظرْ يابُنَيَّ ، هذه أهداها إلينا أبو العباسِ المبرِّدُ ... »[1] .

والكتاب كما يَتَبيَّنُ من الخبرِ السابقِ يَقَعُ « في ثلاثةِ دفاتر كبار » ، وهو نموذجٌ نقديٌّ يتفردُ في بابه ، من ناحيتين .

الأُولى : يوضِّحُ سِماتِ نَقْدِ العلماءِ واللّغويين ، وطبيعةَ ذلك النقدِ في تَنَاوُلِ الشِّعرِ وتقييمِهِ وتقويمِهِ .

والثانيةُ أنّه كتابٌ مستقل لِلُغَويّ يتحدَّثُ فيه عن الشعر ، لأننا عَهِدنا اللغويين والنحاةَ يتحدّثون عن النقد في شذرات متفرِّقةٍ من كتبهم ، ولا يخصصون لذلك كُتُبًا بعينها ، وإنْ أفردوا لها أبوابًا ، وذلك مشهورٌ ، والمبرِّدُ فَعَلَ ذلك في بعض كتبه ، غير أنه عادَ وخَصَّصَ هذا الكتابَ للنقد(*) .

ومّما يؤسفُ عليه أن الكتابَ لم يرَ النورَ . وقد ورد خَبَرٌ يتيمٌ عن وجوده كاملًا في نسخة يمتلكها الأستاذُ عبد العزيز الميمني[2] ، أوردَ الخبرَ الأستاذُ عبد الخالق عضيمة ، غير أنّه لم يذكُرْ مصدَرَ تلك النسخةِ و لم يوثِّقْ كلامَهُ ، إلّا من طرفٍ واحدٍ ، وهو أنّ الميمني قد أشارَ إلى تلك النسخة في تعليقِهِ على كتابِ الفاضل للمبرِّدِ .

---

(١) انظر تاريخ بغداد ٣/٣٨٦ .

(*) ما قاله الباحث فيه نظر ، فللمبرد نفسه كتب أخرى مستقلة في الأدب والأخبار ، منها : الكامل ، والتعازي والمراثي ، ولابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ ، وهو لغوي ، كتب مستقلة في الأدب والنقد والأخبار أيضًا ، منها : عيون الأخبار ، والشعر والشعراء . (المجلة) .

(٢) المقتضب ١/ ٦٥ .

وكذلك فعل د. محمد الدالي في مقدمة تحقيقه لكتاب « الكامل » ، حيث أشارَ إلى موضع ذِكْرِ الكتابِ في بعض المصادرِ ، وأنهى حديثه بقوله « وكان لَدَى العلّامة المرحوم الشيخ عبد العزيز الميمني نُسْخَةٌ مخطوطةٌ منه[1] ، وكلاهما - أي الأستاذان الدالي وعضيمة - لم يشيرا إلى أي خبرٍ عن تلك النسخةِ ، أو مَوْضِعِها في مكتباتِ العالمِ ، واكتفيا بالقولِ بأنَّ الأستاذ الميمني ذكرَها في تعليقِهِ على الفاضل[2] .

وقد حاولت جاهدًا - من خلال البحثِ والاسْتِقْصاءِ في فهارسِ المخطوطاتِ المتوفرةِ بين يَدَيَّ - أَنْ أَجِدَ ذِكْرًا لهذا الكتاب فلم أجدْ ، كما أني حاولت مراسلةَ المجمعِ الهنديِّ للسؤال عن هذه النسخةِ فلم أَتَلَقَّ جوابًا، وكَرَّرْتُ المحاولةَ فلم أَظْفَرْ بما يُذهِبُ الصَّدى.

وكنتُ قد عَثَرْتُ على جُزْءٍ يسيرٍ من الكتابِ ، وهو ما يَتَعلَّقُ بنقدِ المبرِّدِ لأشعارِ أبي نُواسٍ ، في ختام ديوان أبي نواسِ المخطوطِ برواية حمزة الأصفهاني[3] ، وهي ضِمْنَ رَدٍّ لمن يُلَقَّبُ بالعمّاري ، ولم أعرفْ : مَنْ هذا العَمّاري ؟

وليس حديثي السابق لإنكارِ خبرِ وجودِ نسخةٍ مخطوطةٍ لدى الأستاذ الميمني ، وإنما هو حَثٌّ لأهل العلم ، كي يفكّوا أَسْرَ هذه النسخةِ ، ويَعْهَدوا بتحقيقها إلى يدٍ أمينةٍ ، عسى أَنْ يأخُذَ هذا الكتاب موضعَهُ بين كتب النقدِ ، وأن تُبْنى عليه دراساتٌ عِلْمِيّةٌ يقينيّةٌ ، غيرُ قائمةٍ على التخمينِ والظنِّ الذي يقودُ أحيانًا إلى الخطأ في الحُكْمِ النَّقْديِّ .

* * *

خاض المبرّد في قضيّةِ الخصومةِ بين القدماءِ والمحدثين ، وتَعَدّدَتْ آراءُ النقادِ في وَصْفِ موقفهِ ، فالدكتور عبد المحسن بدر يقول : « يُعْنَى بالشعر القديم ، أما الحديث فلا يقتربُ من مجالِهِ ، إلّا إذا جرى مجرى القديم ، وهو حين تفرضُ عليه الظروفُ التعرُّضَ للمحدثين يكونُ أَمْيَلَ إلى رَفْضِ ما جاء به المُحْدَثُ واتّهامِهِ ، في حين أنه إذا تَعرَّضَ للقديم يكون أَمْيَلَ إلى الاسْتحسان والقبول »[4] .

(١) الكامل مقدمة التحقيق ١/ ١٥ .
(٢) انظر المقتضب ١/ ٦٥ والكامل ١/ ١٥ .
(٣) انظر المخطوطة .
(٤) محاضرات في النقد الأدبي ٣٣ .

أما د. إحسان عباس فيختلف في نظرتِهِ إذ يَعُدُّه أسْرَعَ من ثعلب « إلى تبنِّي الشِّعْرِ المُحْدَثِ ومَنْحِهِ شيئًا كثيرًا من عَطفِهِ ، واعتماده أصْلًا من أصولِهِ في تدريسِهِ لطُلّابِهِ »[1] ، ثم يحيلُ د. إحْسَان إلى طبقاتِ ابن المعتز ؛ ليُرِيَ القارئ كيف يدرِّسُ المبرّدُ تلميذَهُ ابنَ المعتزِّ قصيدةً لأبي نُواسٍ ويشرَحُها له . ولا يكتفي د. إحْسَان بهذا البرهانِ على مَيْلِ المبرِّدِ إلى شِعْرِ المُحْدَثِين بل يقول أيضًا : « فهو لم يكتفِ بإيرادِ نماذجَ منه - أي من شعر المُحْدثين - في كُتبِهِ العامّةِ « كالكامل » و« الفاضل » ، وإنما خَصَّصَ كتابَ « الرَّوْضَةِ » لأشعارِ المُحْدثين »[1] وسأتوقّفُ بعدُ لمُناقشةِ الرأي .

وعَرَضَ أيضًا د. عصام قصبجي لموقفِ المبرد من هذه الخصومة في كتابه وَعَدَّهُ - بعد استعراضِ آرائِهِ - ممّن يَنْصُرُ القديمَ ، فهو يَنْضَمُّ إلى قولِ د. بدر الآنِفِ الذكْرِ[2] .

وفي المسألةِ رَأْيٌ آخر فإذا حَمَلْنَا هذين الرأْيَيْن على محملِ المناقشةِ ، وهما يُمثِّلانِ موقفَ المبرِّدِ من الشِّعْر القديم وانتصارَهُ له على حِساب الحديثِ ، فماذا نفعل بآرائِهِ التي وَصَفَ فيها المحدثين ، ألم يَقُلْ عن أبي تَمّام - وهو رَأْسُ المحدثين : « لأبي تمّام استخراجاتٌ لطيفةٌ ومعانٍ طريفةٌ ، لا يقول مثلها البحتري ، وهو صحيحُ الخاطر ، حَسَنُ الانتزاعِ »[3] . ويقول عن البحتري في حديث آخر أورده صاحبُ الموازنة : « ما رَأَيْتُ أشْعَرَ من هذا الرجلِ ... لولا أنّهُ يُنْشِدُكُمْ كما يُنْشِدُني لَمَلأْتُ كُتبي من أمالي شعرِهِ »[4] ، وهو الذي لم يذكرْ بيتًا واحدًا للبحتري في كتابه « الكامل » ، مع أنّه يقول : « ما رَأَيْتُ أشْعَرَ منه » !.

الموقِفُ متناقضٌ ، دون مسوِّغٍ ، على الرغم من أنَّ بعضَ النقادِ حاولَ أن يُوجِدَ مُسَوِّغًا واعْتَبَر موقِفَهُ توفيقيًا ، عندما قرأ قوله : « وليس لِقِدَمِ العَهْدِ يُفَضَّلُ القائلُ ، ولا لِحُدْثانِ عَهْدٍ يُهْتَضَمُ المُصيبُ ، ولكنْ يُعْطَى كلُّ ما يَسْتَحِقُّ »[5] . وفي

(١) تاريخ النقد الأدبي ٩٠ .
(٢) انظر أصول النقد العربي القديم ٣١ وما بعدها .
(٣) أخبار أبي تمام ٩٦ .
(٤) الموازنة ١/ ٢١ .
(٥) الكامل ١/ ٢٩ .

رأيي أنَّ هذا غير مستقيم .

أما ما عَرَضَهُ د. إحسان عباس من أنَّ المبرّدَ قد خَصّص كتابَ الرَّوْضَةِ لأشعارِ المحدثين ، فهذا لا يُعبِّر عن موقفِهِ باحترام شعرِ المحدثين ، لأنَّ هذا الكتاب قد خَصّصه لِنَقْدِ شِعْرِ المحدثين والتَّقْليل مِن أَهَمِّيَّتِهِ ، وأنَّه لا يُجاري شِعْرَ الأقدمين .

وهذا الأمرُ في غايةِ الأهمِّيةِ ، وليس جديدًا بل تَنَبَّهَ إليه الأقدمون ، ألم يَصِفْ ابنُ عبد ربِّهِ مختاراتِهِ في كتابِ الرَّوْضَةِ بقولِهِ : « فلم يَخْتَرْ لكلِّ شاعرٍ إلّا أَبْرَدَ ما وَجَدَ له ... »[1] وهذا الاختيارُ ضِد شِعْرِ المُحْدَثين ؛ لأنَّ ابنَ عبد ربِّهِ وَصَفَهُ بالبُرودَةِ ، وهي صِفةُ ذَمٍّ للشِّعْرِ والرجالِ ، على عادةِ العَرَبِ في إطلاقِ الصِّفاتِ .

وقد عَدَّ د. إحسان موقفَ المبرِّدِ في إقبالِهِ على شعرِ المحدثين موقفَ عَطْفٍ عليهم من جهةٍ ، وموقفَ توفيق في الخصومةِ مِنْ جهةٍ أُخرى[2] ، غير أني لا أرى ذلك ، ولديَّ من الأَدِلّةِ ما يكفي لإثباتِ ماأراهُ في القضيةِ .

أَوْرَدَ ابنُ خلِّكان في « وَفَياته »الحديثَ التالي[3] : « وكنتُ رَأَيْتُ المبرِّدَ في المنام ، وجرى لي معه قصةٌ عجيبةٌ ، فأَحْبَبْتُ ذِكْرَها ، وذلكَ أَني كنتُ بالإسكندرية في بعضِ شهور سنة ستٍّ وثلاثين وستمائة ، وأَقَمْتُ بها خمسة أشهرٍ ، وكان عندي كتابُ « الكامل » للمبرِّدِ ، وكتابُ « العقد الفريد » لابنِ عبد ربه ، وأنا أُطالِعُ فيهما ، فرأيتُ في « العقد » في فَصْلٍ تَرْجَمَهُ بقولِهِ : « ماغُلِّطَ فيه على الشعراءِ » وذَكَرَ أبياتًا نَسَبُوا أصحابَها فيها إلى الغَلَطِ ، وهي صحيحةٌ ، وإنّما وَقَعَ الغَلَطُ مِمّن اسْتَدرَكَ عليهم لِعَدَمِ اطِّلاعهم على حقيقةِ الأمرِ ، ومن جُمْلَةِ من ذَكَرَ المبرِّدُ فقال : « ومثلُهُ قولُ محمّدِ بن يزيد النَّحْوي في كتابِ الرَّوْضَةِ » : وردَّ على الحَسَنِ بنِ هانئٍ – يعني أبا نواس – في قوله :

وما لبكرِ بنِ وائلَ عُصُمٌ   إلا بحَمْقائِها وكاذِبِها

فَزَعَمَ أنَّه أرادَ بحَمقائِها هَبَنَّقَةَ القَيْسي . ولا يقالُ في الرجّلِ : (حمقاءُ) ، وإنّما أرادَ دُغَةَ العِجْلِيَّة ، وعِجْلٌ في بَكْرٍ ، وبها يُضْرَبُ المَثَلُ في الحُمْقِ .

---

(١) العقد ٣/ ٢٦٨ .
(٢) تاريخ النقد الأدبي ٩١ .
(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٣١٨ .

هذا كلُّهُ كلامُ صاحبِ « العقد » وغرضُهُ أنَّ المبرِّدَ نَسَبَ أبا نواس إلى الغَلَطِ بكونهِ قال : بـ(حَمْقائِها) واعْتَقَدَ أنّهُ أرادَ هَبَنَّقَة ، وهَبَنَّقَة رجلٌ ، والرّجلُ لا يقالُ له : (حمقاءُ) ، بلْ يقالُ له :(أحمقُ) ، وأبو نواس إنما أراد (دُغَةَ) وهي امرأةٌ ، فالغَلَطُ حينئذٍ من المبرِّدِ لا من أبي نواس .

فلما كان بعدَ ليالٍ قلائل من وقوفي على هذه الفائدة ، رأيتُ في المنام كأنّي بمدينة حلب في مدرسة القاضي بهاء الدين المعروف بابنِ شداد ، وفيها كان اشتغالي بالعلم ، وكأنّنا قد صَلّينا الظُّهْرَ في الموضع الذي جَرَتِ العادةُ بالصلاة فيه جماعة فلمَّا فَرَغْنا من الصلاة قمْتُ لأخرجَ ، فرأيتُ في أُخْريَاتِ الموضع شخصًا واقفًا يُصلّي ، فقال لي بعضُ الحاضرين : هذا أبو العباس المُبرِّدُ ، فَجِئْتُ إليه وقَعَدْتُ إلى جانبِهِ أَنْتَظِرُ فراغَهُ ، فلما فَرَغَ سَلّمْتُ عليه ، وقلتُ له : أنا في هذا الزمانِ أطالعُ في كتابِكَ « الكامل » فقال لي : رَأَيتَ كتابي « الرَّوْضَةَ » ؟ فقلت : لا ، وما كنت رَأَيْتُهُ قبل ذلك ، فقال : قُمْ حتى أُرِيكَ إيّاهُ ، فقمْتُ معه ، وصَعَدَ بي إلى بيتِهِ ، فَدَخَلْنا فيه ، ورأَيْتُ فيه كتبًا كثيرةً ، فَقَعَدَ قُدّامها يُفَتِّشُ عليه ، وقَعَدْتُ أنا ناحيةً عنه ، فأخرجَ مجلّدًا ودَفَعَهُ إليَّ ، فَفَتَحْتُهُ وتركْتُهُ في حِجْري ، ثم قلتُ له : قد أخذوا عليكَ فيه ، فقال : أيَّ شيءٍ أخذوا ؟ فقلتُ : إنّكَ نَسَبْتَ أبا نواس إلى الغَلَطِ في البيت الفُلاني ، وأَنْشَدْتُهُ إياهُ فقال : نَعَمْ ، غَلِطَ في هذا ، فقلتُ له : إنّه لم يَغْلَطْ ، بل هو على الصواب ، ونَسبُوكَ أنت إلى الغَلَطِ في تَغْليطِهِ ، فقال : وكيف هذا ؟ فعرّفتُهُ ما قاله صاحب « العقد » فَعَضَّ على رأسِ سَبّابتِهِ ، وبقي ساهيًا ينظرُ إليَّ ، وهو في صورةِ خَجْلان ، ولم يَنْطِقْ » ، تَمَّ الحديثُ .

إنَّ هذا الحديثَ يوضّح جُمْلَةَ حقائق هي :

أولًا : لم يُخَصِّصْ المبرِّدُ كتابَه الرَّوْضَةَ لأشعار المُحدثين مجاراةً لموقِفِهِ – كما قرّر د. إحسان عباس – وإنما ألّفه لغايةٍ في نفسه ، وهي الانْتِقاصُ من شعر المحدثين ، وخصوصًا في مجال اللغةِ ، وهو لُغَوِيٌ نَحْوِيٌ متميّزٌ ، بدليل أنه كان يوردُ خَطأً الشعراءِ

المحدثين في اللغة ومصادِرِها ، ولم يذكُرْ في هذا الكتاب فَضْلًا لأحد منهم ، لا في الشعر ، ولا في اللغة ، إلا ما جاء في موقف معين .

ثانيًا : لم يكنْ موقفُهُ من قضية الخصومة موقفًا توفيقيًّا – كما أَسْلَفْنا في زَعْم د. إحسان – وإنّما كانَ متحيِّزا للقديم ، ولم يكنْ موقفُهُ يقينيًّا ثابتًا ، بل يعتمدُ على المواربةِ والتَّذَبْذُبِ في إطلاق رأيِه ، مِمّا يَجْعَلُنا لا نعتبره منتصرًا للقديمِ انتصارًا تامًّا ، وإنما من أجل ناحيةٍ علمِيَّةٍ ، تَتَجسَّدُ في رَغْبَتِهِ بشيوع كتبه لدى كلِّ الناس ، كما فَعَلَ ابنُ قتيبة في نَظْرَتِهِ إلى مبدأ الخصومةِ[1] .

وبهذا الموقفِ لا يَنْفُرُ أيُّ تيارٍ فكريٍّ من مؤلفاتِهِ ، كما أنّه يوصَفُ بالاعتدالِ ، وهو موقفٌ شَرْعي يُرضي نوازِعَ المبرّدِ ومكانتَهُ العلمية .

ثالثًا : يَتَّضِحُ لنا من الحديث السابق مَنْهَجُ المبرِّدِ في نَقْدِ شعر المحدثين ، وهو منهجٌ قائم على اتجاه يهدف إلى التقليل من شأن المحدثين ؛ ولذلك يحاولُ أن يختارَ أَضْعَفَ الروايات للبيت الذي يتصدّى له بالنَّقْدِ ، من أَجْلِ أن يُبرهِنَ على ضَعْفِ لُغَةِ المحدثين ، وتهاونِهم بقواعِدِ اللغةِ من جِهةٍ ، ولكي يَجِدَ مَطْعنًا في شِعْرِ المحدثين من جهةٍ أخرى ، ودليلُ ذلك أَنَّ كلَّ آرائِهِ النقدية نُقضِتْ من قِبَلِ الأدباءِ المعاصرين له ، أو المدافعين عن شعر المحدثين .

رابعًا : نتبيّنُ أَنَّ المبرِّدَ لم يكنْ واثقًا من صِحَّةِ نَقْدِهِ للشعر وخصوصًا في قولِ ابنِ خلِّكان « فعضَّ على رأس سبّابتِهِ » ولا يتمُّ ذلك إلّا في مَعْرِضِ النَّدم على مابَدَرَ منه بحقِّ أبي نواس وسواه .

خامسًا : نَسْتَدِلُّ من النَّصِّ أيضًا على أَنَّ الآراءَ النقدية التي أشاد من خلالها بشعر المحدثين لا تمثل موقفه ، فإشادته مثلًا بالبحتري في هذا الكتاب لعلها ترجع إلى الصداقة المتينة التي كانت تربط بينهما . وهذا ما يفسر إهماله للبحتري في بعض كتبه ، مثل « الكامل » .

---

(١) مقدمة الشعر والشعراء حيث قررّ « لا فضل لمتقدم على متأخر إلا في الإجادة » . ص ٥ .

من خلال ما تقدَّم نتبيّن أنَّ المبرّدَ ألّفَ كتابَهُ الرَّوضَة ؛ نَقْدًا للشعراءِ المحدثين ، وتَتَبُّعًا لأخطائِهم ، وخصوصًا في مجالِ اللُّغَةِ ، وإنْ لم يُصِبْ في كلِّ نقدِهِ ، فذلك عائدٌ إلى تحامُلِهِ عليهم ، واختيارِهِ الرواياتِ الضعيفة ، كما سأُبيِّنُ في تعليق المنتصرين على نَقْده . في حاشية النصوص التي جَمَعْتُها .

أما منهجه هنا فلا يختلفُ عن منهجِهِ في كُتبِهِ الأخرى ، فهو يذكُرُ البيتَ ، أو الأبياتَ ، ثم يبيّنُ غَلَطَ الشاعرِ ، من وجهة نظره .

* * *

إن نسبةَ كتابِ الرَّوْضَةِ إلى المبرد صحيحةٌ لا يَعْتَورُها شكٌّ ، فقد أَجْمَعَتْ الكتبُ قديمًا وحديثًا على هذه النسبةِ ، وعلى أنَّ المبرّدَ ألَّفَهُ في أشعار المحدثين ، بل إن المبرد نفسه أَوْرَدَ منه نصوصًا في كتبِهِ[(١)] .

وذكرَهُ صاحبُ « تاريخ بغداد »[(٢)] وقال : « إنه يقع في ثلاثة دفاتر كبارٍ » . وكذلك ذكره ابْنُ الأثير في كتابه « المثل السائر »[(٣)] . وأورد صاحبُ الأغاني منه ما يتعلَّقُ بالعبّاسِ بنِ الأَحْنَفِ[(٤)] . وذكره الجُرْجَانيُ في « كناياتِهِ »[(٥)] . وأشار إليه ابن عبد ربّهِ في « العقد الفريد »[(٦)] في أكثر من موضعٍ . وكذلك اليافعي في مرآةِ الجنانِ[(٧)] . ونَقَلَ منه صاحب « الخزانة »[(٨)] ، وصاحبُ شَرْحِ أبيات المُغْني[(٩)] ، وسِمْطِ اللآلي[(١٠)] . وكذلك ذكَرَه القِفْطي في « إنباه الرواة »[(١١)] . وأخيرًا ذكره ابنُ خَلِّكان في « وَفياتِهِ »[(١٢)] ، وأورد حديثًا طريفًا ؛ سأذكره في موضعه .

---

(١) الكامل ١/ ٤١ .
(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٤٦٨ .
(٣) المثل السائر ١٨٩ .
(٤) الأغاني ٨/ ١٥ .
(٥) الكنايات ٢٩ .
(٦) العقد الفريد ٥/ ٣٩١ .
(٧) مرآة الجنان ٢/ ٢١١ .
(٨) خزانة الأدب ٣/ ٤١٨ .
(٩) شرح أبيات المغني ٦/ ٩٠ .
(١٠) سمط اللآلي ١٣٧ .
(١١) إنباه الرواة ١/ ٣٥٠ .
(١٢) وفيات الأعيان ٤/ ٣١٤ .

أما المحدثون فقد عرضوا له في غير كتابٍ ، وفي مواضعَ متعددةٍ ، فقد ذَكَرَهُ حاجي خليفة في « كشف الظنون » ، وأشار إلى أنَّ ياقوتَ الحَمَويَّ ذكره في « معجم الأدباء »[١] ، وقال المحقق : « وقد نُسب إليه – أي إلى المبرِّد – أنه حرّف في هذا الكتاب كلمتين ، قوله ، في حبيب بن خورة أنه ابن جورة (بالجيم) ، وفي رِبْعي بن حِراش أنه ابنُ حِراسٍ (بالسين)[٢] .

وكذلك بروكلمان في « تاريخه » فإنه ذكَرَهُ ، وذكَرَ المصادرَ التي أوْرَدَتْ منه نصوصًا ، غير أنّه لم يتحدثْ عن مخطوطةٍ للكتاب ، ولم يذكرْ وجودَهُ في مكتبة ما ، وهو الذي يحرص على ذكر ذلك[٣] .

كما تعرّض له د. إحسان عباس في كتابه « تاريخ النقد الأدبي »[٤] ، وناقش نَقْدَهُ فيه ، كما سأُبَيِّنُ لاحقًا .

وتحدّثَ عنه الأستاذان : محمد عبد الخالق عضيمة – في مقدمة تحقيقه « للمقتضب » ، كما تحدث باقْتِضَابٍ عن موقفِ المبرِّدِ من الشعراء المحدثين[٥] – والأستاذ محمد الدالي في مقدمة تحقيقه لـ(للكامل) كما أَسْلَفْتُ . وأَوْرَدَ الأستاذُ الميمنيُّ منه نقولًا في تحقيقه لـ(الفاضل)[٦] .

من خلال ما تقدّم يتبيّنُ لنا أنَّ الكتابَ صحيحُ النِّسْبَةِ إلى المبرد ، وإنْ كان ذلك مؤكدًا ؛ فإنما ليطمئنَّ القَلْبُ ، غير أننا لا ندري السنة التي أَلَّفَهُ فيها المبرِّدُ ، ولا ندري من رواه عنه ، ولا أين مكانُهُ في مكتباتِ العالمِ ، غير الإشارةِ التي أَوْرَدْناها

---

(١) معجم الأدباء ١٩/ ١٢١ .
(٢) كشف الظنون ١/ ٩٣١ ، وورد خبر هذا التصحيف في تاريخ بغداد ٣/ ٣٨٦ .
(٣) تاريخ بركلمان ٢/ ١٦٧ .
(٤) تاريخ النقد الأدبي ٩٠ .
(٥) المقتضب ٥٠ .
(٦) الفاضل ٣٤ و ٤٣ و ٩٦ و ١٠١ .

في مقدمتي « المقتضب » « والكاملِ » من أنَّ الأستاذَ الميمنيَّ يمتلك نُسْخَةً من مخطوطِ الكتاب .

* * *

وقد جرى عملي في الكتاب في مسارين ، على وَفقِ المصادر التي اعتمدتُ عليها . والمساران هما :

الأول : تحقيقُ مَخْطوطٍ لأديبٍ يُسمى (العماريّ) ، ولم أَعْرِفْ عنه شيئًا ، على الرَّغْم من المصادرِ والمراجعِ التي عُدْتُ إليها . وهذا المخطوط عبارةٌ عن رَدٍّ على المبرِّدِ في تَخْطِئَةِ أبي نواس خاصةً . وقد عَثَرْتُ عليه في نهاية مَخْطوطِ ديوان أبي نواس برواية حمزة الأصفهاني ، وهي نسخةٌ بخطِّ يوسُف بنِ المُظَفَّر ابن صَدَقَةَ البغدادي ، كان قد كَتَبها في العَشْرِ الأوسط من ربيع الأول من سنة أربعٍ وعشرين وستمائة للهجرة ، وهي محفوظةٌ في معهدِ المخطوطات العربيةِ برقم ٣٧٧٥ ، وحَصَلْتُ على صورةٍ شمسيةٍ منها .

ومنهجُ العماريّ في ردِّه أنه كان يوردُ البيتَ الذي نَقَدَهُ المبرِّدُ وأَوْجُهَ نَقْدِهِ ، ثم يقومُ بالردِّ عليه .

وهذه الرسالةُ صغيرةٌ أَخَذْتُ منها ما يتعلّقُ بنَقْدِ المُبَرِّدِ لأبي نواس ، وأَثْبَتُّهُ في المَتْنِ المُقْتَرَحِ من نصِّ كتاب الرَّوْضَةِ ، أما رَدُّ العماريّ فذكرتُهُ في الحاشية .

والثاني : جَمْعُ النصوصِ التي نُصَّ عليها صراحةً أنّها من كتابِ الرَّوْضَةِ ، وأَعترفُ في البَدْءِ أنّها قليلةٌ ، ولكن على الرغم من قِلّتِها ، فهي تُعْطي صورةً مُعَيّنةً عن هذا الكتاب وآراءِ المبرّدِ فيه .

وقد اتّبعتُ في التحقيقِ والجَمْعِ الطريقةَ العِلْميّةَ في تحقيقِ النصوصِ وجَمْعها على وَفْق ما يلي :

ا - قَرَأْتُ النصَّ المخطوطَ قراءةً صحيحةً ، وضَبَطْتُ مَتْنَهُ ضَبْطًا مُحْكَمًا ، وعُدْتُ إلى أصولِهِ فيما ظَنَنْتُ أنّه سَيُشكِلُ عليَّ .

ب – وَثَّقْتُ الشِّعرَ في المخطوطِ وفي النصوصِ التي جَمَعْتُها ، وكنتُ أذكُرُ تَعَدُّدَ الرواياتِ للبيتِ ، إنْ وُجِدَتْ ، مُعْتَبِرًا مالديَّ مِنْ نَصٍّ هو الأَصْلُ ، وإن غَرُبَ شيءٌ عليَّ ، فيكونُ سهوًا غيرَ مقصودٍ .

ج – رتبّتُ النصوصَ على وفق ترتيبِ المبرِّدِ لها في كتابِهِ ، فَبَدَأْتُ بذكْرِ أبي نواس ، ومن كان في زمانِهِ . وهذا الترتيبُ ذكَرَهُ ابنُ الأثير بقولِهِ : « قَرَأْتُ كتابَ الرَّوْضةِ لأبي العباس المبرّدِ ، وهو كتابٌ جَمَعَهُ واختارَ فيه أشعارَ شعراءٍ ، بدأ فيه بأبي نواس ، ثم بمن كان في زمانه وانسحَبَ على ذيلِهِ »(1) . ومن خلال هذا النصِّ تبيّنَ لي صوابُ الترتيبِ .

د – عَرَّفْتُ بالأعلام الذين وَرَدَتْ أسماؤهم في مَتْنِ النصوصِ على وَفْقِ منهجِ التحقيقِ ، والذين وَجَدْتُ لهم ترجمةً في كُتُبِ التراجم المعتمدة ، وربّما أَهْمَلْتُ ترجمةَ المشهورين منهم .

هـ – أَوْرَدْتُ في الحواشي تعليقاتِ اللغويين والرواةِ على نَقْدِ المبرِّدِ ، ولم أُبخَلْ ببعضِ التعليقاتِ التي رَأَيْتُها ضرورية ، سواءٌ في الانتصارِ للمبرِّد أو الردِّ عليه .

(1) المثل السائر ٢/ ١٣ .

كتاب « الروضة »

(نصوص منه)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو العبّاسِ مُحمّدُ بنُ يزيدَ الثماليّ النحوي : هذا كتابٌ جَمَعْنا فيه جُمْلَةً من أشعار المُحْدَثينَ ، وممّا لَحَنُوا بِهِ ، وخالَفُوا قياسَ النَّحْوِ واللُّغَةِ ، بَدَأْتُ فيه بذكْرِ طَرَفٍ من أشعارِ أبي نواس[1] ثُمَّ بمن كانَ في زمانِهِ وانْسَحَبَ على ذيلِهِ ، وربّما ذكَرْتُ ما يُسْتَحْسَنُ من قَوْلِ الرَّجُلِ ، إنْ وُجِدَ[2] .

فقد رَأَيْتُهمُ يُنكرونَ على أبي نواس قوله[3] :

وضيفُ كأسٍ مُحْدِثُهُ مَلِكٌ ... تِيهُ مُغَنٍّ ، وظَرْفُ زِنْديقِ[4]

وقالوا لم يَجُزِ الإعرابُ على قولِهِ (مُحْدِثُهُ)[5] .

---

(١) هو الحسن بن هانىء ، إمام شعراء الخمر في التراث العربي ، ولد في الأهواز ، ونشأ في البصرة ، واتصل بخلفاء بني العباس ، بعد أن تتلمذ على يد والبة بن الحباب ، توفي حوالي ١٩٨هـ .

(٢) المثل السائر ٢/ ١٣ .

(٣) من هنا يبدأ المخطوط .

(٤) البيت في الديوان ٤٥٣ ، وهو يروى : (وصيف كأسٍ مُحدِّثٌ ولهًا ...) .

(٥) قال العماري في ردّه على كلام المبرد : (وأنا أقول : إنَّ طَرْحَ الإعراب من الاسم المتمكِّنِ جائزٌ في مذهب الشعراءِ ، على أنَّ أبا نواس لو أجرى الإعرابَ على هذا الاسم لم ينكَسِرِ البيتُ ، لأنَّه لم يَدْخُلْ (فعلتن) مكانَ (مفتعلن) وهذا جائزٌ في شَرْطِ العَرُوضِ ، فإنّما الحُجّةُ في طَرْحِ اسمِ الإعرابِ من الاسمِ المتمكنِ : كقولِ امرىء القيسِ :

فاليوم أشربْ غير مُسْتَحْقِبٍ ... إثْمًا من اللهِ ولا واغِـلِ

وذلك أنَّ عادةَ الشعراءِ في الشِّعْرِ ، وعادَةَ العَرَبِ أيضًا في كثيرٍ من الكلامِ ، أذابوا الشَّطْرَ بحركاتِهِ في عَرْضِ توابعها .

=

وأنكَرُوا عليه قولَهُ :

رَمَيْتُ بها العِيديَّ حتّى تحجّلَتْ نواظِرُ منها ، وانْطَوَيْنَ بُطُونُ[1]

وقالوا : كان يجبُ أَنْ يقولَ : (وانْطَوَتْ بُطونُ) وتواصَتْ القيانُ به[2] ـ[3]

وأنكروا عليه قوْلَهُ :

شَمُولٌ تَخطّاها المَنونُ فَقَدْ أَتَتْ سِنونٌ لها في دَنِّها وسِنُونُ[4]

وقالوا : لا يُجمَعُ على الاسم الواحِدِ إعرابانِ : واوُ الجماعةِ وآخِرُ الإعرابِ على النّونِ ، لأنَّ هذا مما يُعْرَبُ في مكانين[5] ..

وكذلك قولَهُ في البيتِ الذي بَعْدَهُ ، وهو قولُهُ :

.... تَجيرُّها بعد البنين بنينُ[6]

= وقول الآخر :

إذا عزّ معجزٌ فإني صاحبُ قومٍ في الدوامِ

وقال الأقيشر :

وأنت لو باكرت مشمولةً صِرفًا كلون الفَرَسِ الأشقرِ

رُحْت وفي رجليك ما فيهما وقد بدا هَنْكَ من المئزرِ

انتهى قول العماري ، انظر المخطوط ، ورقة ٣/ ١٥٢ .

ونحن نرى كيف اختار المبرِّدُ أضعفَ رواياتِ البيت ، إذ كانت روايتُهُ في الديوان (محدَّثٌ) ليس فيها عيبٌ . وهذا ما وَضّحْتُهُ في المقدمة .

(١) البيت في الديوان ٥٩٨ ، والعيدي : الجمل المنسوب إلى فحل يدعى العيد ، وتحجّلت : غارت ، وانطوين : ضَمَرْنَ .

(٢) قوله : « وتواصت القيان به » إشارة إلى تخطئة أبي نواس في قوله :

فكأنِ سلمى إذ تودّعنا وقد اشرأبَّ الدمع أن يَكِفَا

رشأٌ تواصين القيان به حتى عقدن بأذنه شَنَفَا

انظر : ديوانه ٤٣٢ .

(٣) قال العماري : (والحجةُ في جوازِ ذلك ، قول بعض العرب : أكلوني البراغيث ، وقولُ اللهِ عز وجل : ﴿ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ المخطوط ورقة ٣/ ١٥٢ .

(٤) البيت في الديوان ٥٩٨ ، ويروى : (شمولًا ...) بالنصب .

(٥) قال العماري : (والجوابُ في ذلك أنَّ هذا الشعرَ إذا غُيِّرَ عن هذه الروايةِ ، لم يحلّ فيه مقالُ عرّاب ، وذلك أنَّ من العربِ من يقولُ : (هذه سنينٌ) فلا يجمعها جَمْعَ السَّلامةِ ، ويُجري الإعرابَ على النّونِ ، فعلى هذا يجب أن يروى (... فقد أتتْ سنونٌ لها في دنّها وسنين) . المخطوط ورقة ٣/ ١٥٣ .

(٦) البيت في الديوان ٥٩٩ ، وصدره (تراثُ أناسٍ عن أناسٍ تخرَّموا ...) ويروى : توارثها بعد البنين بنون . وبهذه الرواية يبطل قول المبرد ، وتخطئته أبا نواس .

وأنكروا عليه قولَهُ :

لولا هواؤكِ ما اغْتَرَبْتُ وَلَا حُطَّتْ رِكابي بِأَرْضٍ مُغْتَرِبِ[1]

وقالوا : لأنَّ هوى النّفْسِ مَقْصورٌ ، وقدمَدَّهُ .

وأنكروا عليه قولَهُ أيضًا :

اللهُ مَولى دنانيرٍ ومَـولائي ....[2]

وأنكروا عليه قولَهُ :

فَلَمَّـــا خُشيَ الإيبـــاءُ مِـــنْ صَحْبٍ وجُلّاسِ[3]

وقالوا : إنّما يقالُ : (الإباءُ)[4] .

وأنكروا عليه قولَهُ :

.... فليتَ ما أَنْتَ واطٍ من الثَّـرى لي رَمْسَا[5]

وقالوا : كانَ يجبُ أَنْ يُقالَ : (واطيءٌ) بالهَمْزِ ، و (رَمْسُ) بالرَّفْعِ[6] .

---

(١) لم أجد البيت في الديوان الذي بين يدي .

(٢) البيت في الديوان ١٨ ، وعجزه (بعينِهِ مصبحي فيها وممسائي) . وقد رَدّ العماري على مَدِّ المقصورِ وإنكارِ المبرِّدِ له بقوله :

« إنّ مَدَّ المقصور في الشِّعْرِ ، وقَصْرَ الممدود حكمُهُما واحدٌ ، على أنَّ هذا لو رُوي : (لولا التّصابي ما اغْتَرَبْت ...) لكان المعنى لا يُنْتَقَضْ » انظر المخطوط الورقة ٣/ ١٥٣ .

(٣) البيت في الديوان ٣٨٥ . ويروى : (فلما خُشي الإلحاح ...) وبهذه الرواية يبطل قولُ المبرِّدِ .

(٤) قال العَماري في ردّه : « وأنا أقول : لو رُوي : (فلما خشي الإعراض ...) لكان جائزًا ، ولعل الشاعر قال كذا ، فقُلِبَ عليه ، كما قُلِب قوله :

وإذا نَزَعْتَ عن الغوايةِ ، فليكنْ لِلهِ ذاك التـركُ لا للنـاسِ

رووه : (... فليكنْ لِلهِ ذاكَ النَّزْعُ ....) وهذا غير جائز ؛ لأنه لا يقالُ : نَزَعْتُ عن الشيىء نَزْعًا ، وإنما يقال نزوعًا » انظر المخطوط ٣/ ١٥٣ .

(٥) البيت في الديوان ٣٨٠ .

(٦) قال العماري : « فأمّا .. واطٍ » فجائزٌ على لُغَةِ قريش ، وأما (رمَسًا) فجائزٌ على لُغَةِ بعضِ العَرَبِ ، وهم الذين يُجرونَ ليتَ مجرى (ظن) فَيَنْصِبونَ به الاسم والخبر .

وأنكروا عليه قولَهُ :

بادَعَيْشٌ أبوهُ أَوْحَتْ لأنْ . أو يُحازُ أَخْذَاهُ أو شَرْوينا[١]

وقالوا : كان يجبُ أَنْ يقولَ : (أو شَرْوينُ)[٢] .

وأنكروا عليه قولَهُ :

كَمَنَ الشنآنُ فيهِ لَنَا ككُمُونِ النارِ في حَجَرِه[٣]

قالوا : وكان يجبُ أَنْ يقالَ : (في حَجَرِها) لأَنَّ النارَ مؤنثةٌ[٤] .

وأنكروا عليه قولَهُ :

كيف لأيُدْنيكَ من أَمَلٍ مَنْ رسولُ اللهِ من نَفَرِهْ[٥]

وقالوا : رسولُ اللهِ ﷺ لا يُضافُ ، بَلْ مُضافٌ إليهِ[٦] .

وأنكروآ عليه قولَهُ :

ياخيرَ مَنْ كانَ وَمَنْ يكونُ إلا النبيُّ الطاهُر الميمونُ[٧]

وقالوا : الاستثناء - من الواجب - يُنْصَبُ[٨] .

---

(١) لم أجدْ البيت في الديوان .

(٢) قال العماري : « وليس عليه في هذا سِعَة لأنه مَهَّا في تعزّ ، وهو اسمٌ أعجمي .

(٣) البيت في الديوان ٣٠٩ ، ورد بنقده في خزانة الأدب ٣/ ٣٣٠ . .

(٤) قال العماري : « والشاعرُ إنما أرادَ ككمون النارِ في حَجَر الكُمونِ » انظر المخطوط ورقة ٣/ ١٥٣ . وإلى هذا الردِّ أشارَ صاحب الخزانه ٣/ ٣٣٠ .

(٥) البيت في الديوان ٣١٠ .

(٦) قال العماري : (وهذا جائز ، أليس يجوز أن يقال رسول الله ﷺ من هاشم ، ورسول الله ﷺ من قريش ومن مضر .

(٧) البيتان من الرجز وهما في الديوان ٦٤٦ .

(٨) قال العماري : (وليس ذلك في كل موضع ، فقد جاء في الشعر القديم مرفوعًا في قوله :

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

وأنكروا عليه قولَهُ :

اهْجُ نزارًا وأَفْرِ جِلْدَتَهـا   واهْتِكِ السِّتْرَ عن مثالِبِها[1]

فقالوا : (أَفْرِ) خطأٌ في الإفسادِ ، لأَنَّهُ يقالُ في الإفسادِ : (فَرّيتُ) وفي الإصلاح : (أَفْرَيْتُ)[2] .

وأنكروا عليه قولَهُ :

ومالِبكْرِ بْنِ وائـلَ عُصَمٌ   إلا بِحَمْقَائِهـا وكاذِبِهــا[3]

وقالوا : كان يجبُ أَنْ يقولَ : (بأَحْمَقِها) لأنّه يعني هَبَنَّقَةَ القَيسي ؛ لأنَّ قيسَ بنَ ثعلبةَ مِنْ بكْرِ بنِ وائل[4] .

وكان أبو نواس لحّانةً[5] فمِنْ ذلك قولُهُ[6] .

فما ضَرَّهَا أَلَّا تكونَ لَجَرْوِلٍ   ولا المُزَني كَعْبٍ ولا لِزِيَادِ[7]

لَحَنَ في تَخْفِيفِهِ « ياءَ » النَّسَبِ في قوله (المُزَني) في حَشْوِ الشِّعْرِ ، وإنّما يجوزُ هذا ونحوُهُ في القوافي ، كما قالَتْ امرأَةٌ تَفْخَرُ بأخوالِها مِنَ اليَمَنِ :

---

(١) البيت في الديوان ٨٨ .

(٢) قال العماري : « وليس كما قال : لأنه يقال في الحز والشق ، فرّيت وأفريت معًا » المخطوط الورقة ٣/ ١٥٤ .

(٣) البيت في الديوان ٨٨ ، وأورده كذلك صاحب العقد الفريد ٥/ ٣٩١ .

(٤) قال العماري : « والشاعر لم يُرِد هبنقة الذي هو رجل ، وإنما أراد دُغة العجلية ، وعجل من بكر بن وائل . انظر المخطوط الورقة ٣/ ١٥٤ . وأورد ابن عبد ربه الردّ ، وزاد أن دُغَة يضرب بها المثل في الحمق » . انظر العقد الفريد ٥/ ٣٩١ . وكذلك أورد نقد المبرد والردّ عليه عن رواية العقد صاحب وفيات الأعيان ٤/ ٣١٨ . وأبان بصريح العبارة أن الغلط من المبرّد لا من أبي نواس ، انظر ذلك .

(٥) لحّانة : صيغة مبالغة اسم الفاعل من لحَنَ ، أي كثير اللحن ، أي الخطأ .

(٦) هذا النص وما يليه من الموشح ٣٣٣ وما بعدها .

(٧) البيت في الديوان ٢٢٢ . ويروى : وماضرها أن لا تُعَدّ ...) وجرول : هو الحطيئة ، والمزني كعب : هو كعب بن زهير بن أبي سلمى ، وزياد : هو النابغة الذبياني .

هَوْذَةُ خالي ولَقيطٌ وَعلِي[1]

وقال آخَرُ يومَ الجَمَلِ[2] :

قَتَلْتُ عَلْبَاءَ وهِنْدَ الجَمَلي وابنًا لصَوْحانَ على دينِ علي[3]

وأَنْشَدَ الأَخْفَشُ[4] :

جَمَعْتُ قَومي، وَجَمَعْتُ مَعْشَري حَتّى إذا ما لم أَجِدْ غَيرَ السَّري

كُنْتُ امرأً من مالك بنِ جَعْفَرِ[5]

ومما يُرَدُّ من شعرِهِ ، ويَسْقُطُ ويُطْرَحُ ، قولُهُ :

بُحَّ صَوتُ المال ممّا مِنْكَ يدعو ، ويَصيحُ

مالِهـذا آخِـذٌ فـو قَ يَدَيْـهِ أَوْنَصيـحُ[6]

وله قصيدةٌ يَمْدَحُ فيها العبّاسَ بنَ الفَضْلِ بنِ الرّبيعِ ، شيءٌ يَسْتَمْلِحُهُ الأَحْدَاثُ ، ويَأْلَفُهُ المُجّانُ ، وليس بذاك ، وهو قولُهُ :

نَديمُ كأسٍ مُحْدِثٌ مَـلِكٌ تَيْـهُ مُغَـنٍّ وظَـرْفُ زنديـقِ[7]

فهذا قولٌ مَلْحُونٌ مَرْذولٌ رَديءُ الرَّصْفِ بَعيدُهُ . وأمّا قولُهُ :

كَأَنَّمـا رِجْلُهـا قَفَـا يَدِهَـا رِجْلُ غُلامٍ يلهـو بِدَبُّـوقِ[8]

---

(١) الموشح ٣٣٤ .

(٢) يوم الجمل ، المعركة المشهورة بين عائشة وعلي بن أبي طالب .

(٣) البيت في التاج (مادة علب) وفي الموشح ٣٣٤ . وعلباء : هو علباء بن أرقم ، وابن صوحان ؛ هو زيد ابن صوحان الصحابي الجليل رضي الله عنه .

(٤) الأخفش : هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة ، لم تعرف سنة ولادته . ويرجح أنه توفي ٢١٥هـ ، نحوي ، عالم باللغة والأدب ، من أهل بلخ ، سكن البصرة ، وأخذ العربية عن سيبويه .

(٥) الأبيات في الموشح ٣٣٤ .

(٦) البيتان في الديوان ١٦٩ ، ويروى الأول : منك يشكو ...

(٧) تقدم البيت وتخريجه ونقد المبرد له بأسلوب آخر ، فلْيُنظر .

(٨) البيت في الديوان ٤٥٤ ، ويروى : رجل وليد ... والدبوق لعبة يلعب بها الصبيان .

فهذا كلامٌ خَسيسٌ ، وكذلك قولُهُ :

إلى فتـى أُمُّ مالِـهِ أبَـدًا   تَسْعى بجيبٍ في النّاس مَشْقوقِ(١)

وفي آخرِها ما جَمَعَ بين كُفْرٍ ولَحْنٍ ، وأكْرَهُ حكايَتَهُ لِضعَتِهِ وبُطْلانِهِ ، والطَّبعِيُّ(٢) رُبّما أساءَ وفَرَّطَ ، ثم يَبْعَثُهُ طَبْعُهُ على الشيءِ الجيِّدِ . ومن شعرِهِ الذي يُذَمُّ ، قولُهُ في الرّشيدِ :

لقـد اتَّقَيْتَ اللهَ حَـقَّ تُقاتِـهِ   وجَهِدْتَ نَفْسَكَ فوقَ جُهْدِ المُتَّقِي(٣)

وليس هذا البيت أَرَدْتُ ، ولكن ذَكَرْتُهُ لِلّذي بَعْدَهُ : لأنه معطوفٌ عليه ، مُتَّصِلٌ بِهِ ، وهو :

وأَخَفْتَ أَهْلَ الشّرْكِ حتَّى إنّـهُ   لَتخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ(٤)

هذا البيتُ بادي العُوارِ جدًّا ، وقد رَدَّهُ في مكانٍ آخر فقال :

هـارونُ أَلَّفَنـا ائتـلافَ مَـودَّةٍ   مـاتَتْ لها الأحقـادُ والأضْغـانُ
حتّى الذي في الرَّحْمِ لم يَكُ صُورةً   لفـؤاده مـن خَفْقِـهِ خَفَقـانُ(٥)

وما لم يَكُ صُورةً ، فكيفَ يكونُ له فؤادٌ ؟ فَقَدْ أحالَ ، وأَسْرَفَ ، وتجاوَزَ ، وإنما ذكَرْنا مساوِئَهُ ، لأنَّ المُنْشِدَ إذا ذكَرَ شاعرًا فوَصفَهُ ، وَمَدَحَهُ ، وَقَرَّظَهُ ، فليسَ يكادُ يَعْدمُ مدافِعًا عن قولِهِ ، ومعارِضًا فيه ، فيأتيهِ بهذا ، وبِشبْهِهِ احْتِجاجًا عليهِ ، وَوَضْعًا من صاحِبِهِ ، فيكْسِفُهُ بما لا يَعْرِفُ ، ويَرْدَعُهُ من حيثُ لا يَشْعُرُ ؛ فإذا وَقَفَ على الإحسان والإساءةِ عَرَفَ قَدْرَ صاحِبِهِ ، فاحْتَرسَ مِمّا يَخافُ أَنْ يُعارَضَ بِهِ .

---

(١) البيت والذي قبله من قصيدة واحدة في الديوان ٤٥٤ . ويروى : إلى امرئ ...

(٢) الطبعي : يعني به ملكة الشعر ، وهو الذي لا يخضع شعره إلى الثقاف والمعاودة . وقد كان أبو نواس كذلك وعموم المحدثين .

(٣،٤) البيتان في الديوان ٤٥٢ .

(٥) البيتان في الديوان ٦٤٣ و ٦٤٤ .

وقد قال أبو نواس شيئًا من الشِّعْرِ في الأَمينِ ، اتُّهِمَ فيه ، لأَنَّهُ قال قَوْلًا عظيمًا لا يتكلَّمُ بمثلِهِ مُسْلِمٌ ، وهو قولُهُ :

تنازَعَ الأحمدانِ الشَّبَهَ فاشْتَبَهَا ... خَلْقًا وخُلْقًا كَمَا قُدَّ الشراكانِ
اثنانِ لا فَضْلَ لِلمَعْقولِ بَينهما ... مَعْناهُمَا واحدٌ والعِدَّةُ اثنانِ[1]

وله في الأمين أشعارٌ ، منها شيءٌ مقبولٌ ، ومنها شيءٌ ساقِطٌ .

ومما أنكر من قولِهِ :

ياأحمدُ المُرْتَجَىٰ في كلِّ نائبةٍ ... قُمْ سَيِّدي نَعْصِ جَبّارَ السَّمواتِ[2]

لأنَّ هذه أَعْظَمُ جُرْأةٍ ، وأَقْبَحُ مُجاهَرةٍ ، وأَشَدُّ تَبغُّضٍ إلى العزيز الجبّارِ عَزَّ وجَلَّ أَنْ يقولَ : « نَعْصِ جبارَ السَّمواتِ ... » فذكَرَ المَعْصيةَ مع ذِكْرِ الجبّارِ ، عَزّ اسْمُهُ ، وأَنَّهُ إياهُ يَقْصِدُ بالعِصْيانِ .

وحُدِّثْتُ عن أحمد بن أبي دُوادَ أَنَّه ذكَرَ هذا البَيْتَ ، فَتَفَزَّعَ له ، وجعلَ يقولُ : لَعَنَهُ اللهُ ، لَعَنَهُ اللهُ ، وأَحْسَنَ ابنُ أبي دُوادَ في لَعْنِهِ إيّاه على هذا الكلامِ .

وله في الأمين ، وليس بشيءٍ :

وَرِثَ الخلافةَ خَمْسَةٌ ... وبخيرِ سادِسِهِمْ سَدَسْ[3]

ومما لم يُجِدْ فيه قولُهُ :

قهوةٌ تُذكِرُ نوحًا ... حين شادَ الفُلْكَ نُوحُ[4]

وأمَّا قولُهُ :

يا مَنْ له في عينِهِ عَقْرَبُ ... فكلُّ مَنْ مَرَّ بها تَضرِبُ

---

(١) البيتان في الموشح و لم أجدهما في ديوانه .
(٢) البيت في الديوان ١١٧ .
(٣) البيت في الديوان ٣٨٣ ، وسدس : أي صار سادسًا .
(٤) البيت في الديوان ١٦٩ .

ومَنْ له شمسٌ على خدِّهِ طالعةٌ بالحُسْن ما تغْرُبُ[1]

فقد استَمْلَحَهُ قومٌ ، وليس عندي بحيث وضعوهُ ، وقولُهُ :

لا تُعرِّجْ بدارسِ الأَطْلالِ واسْقنيها رقيقةَ السِّربالِ[2]

هذا المصراع فائقٌ في جودتِهِ جدًّا ، رقةً ولطافةً ، وسلسًا وسهولةً ، وتمامُهُ غيرُ مُرْضٍ ، وهو قولُهُ :

ماتَ أربابُها وبادَتْ قُراهـا وبَراها الزمانُ بَرْيَ الخِلالِ[3]

وأمّا قولُهُ :

لاتُخْدَعَنَّ عَنِ التي جُعِلَتْ سُقْمَ الصحيحِ وصِحّةَ السُقْمِ[4]

فَأَوْهَى كلامٍ وأردؤه .

وفي قصيدةِ أبي نواس التي أَوّلُهَا :

لَسْتُ لـدارٍ عَـفَتْ وغَيَّرهـا ضِرْبانِ من قَطْرِها وحاصِبِها[5]

لَحْنٌ في غير موضعٍ ، وقولُه فيها :

أُهجُ نزارًا وأَفْرِ جِلْدَتَها ...[6]

خَطَأٌ عند الأصمعي[7] ، زعم الأصمعي أنّه يقولُ في الفَسَادِ : فَرَيْتُ ، وفي الإصلاح : أَفْرَيْتُ ، وكانَ يقولُ : فَرَيْتُ أوداجَهُ ، وغيرُهُ يقولُ في الخيرِ والشرِّ جميعًا : فَرَيْتُ وأَفْرَيْتُ .

---

(١) البيتان في الديوان ٦٨ ، ويروى الثاني : طالعة بالسعد ...

(٢،٣) البيتان في الديوان ٤٨٩ ، والخِلال في الثاني : ما تخلَّل به الأسنان أي تُنَظَّف مما علق بها .

(٤) البيت في الديوان ٥٣٩ .

(٥) البيت في الديوان ٨٦ ، والقطر : المطر ، والحاصب ، الريح التي تحمل التراب .

(٦) تقدم البيت ، وهنا رأي آخر في عيبه له .

(٧) الأصمعي : عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، ولد سنة ١٢٢هـ وتوفى ٢١٦هـ . كان راوية العرب ، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان ، عاش في البصرة ، ولقّبه الرشيد : شيطان الشعر .

أخبرني محمّدُ بنُ هاشم السّدري ، قال : لقيت أبا نواس بمدينةِ السلام ، فقلتُ له : فَرَرْتَ من بلدِنا ، ورَغِبْتَ عن مِصْرِنا ؛ واللهِ ما فَعَلْتَ ذلك إلّا لِتُخْفِي سَرِقَتَكَ للشِّعْرِ ، فقالَ لي : اسْمَعْ ما أُنْشِدُكَ فإنْ وَقَفْتَ على حرفٍ مأخوذٍ ، وزَعَمْتَ أنّكَ سَمِعْتَهُ لأحدٍ ، أوْ عَلِمْتَ أنَّ أحدًا يقول مِثْلَهُ فدمي لك رهنٌ به ، وأنتَ فتى الدنيا وراويةُ البصرةِ ، قال : وأَنْشَدَني شِعْره :

وذي حَلَفٍ في الراح قلتُ له اصْطَبِحْ ... فليسْ على أمثالِ تلك يَمينُ[1]
كُميتًا تَخَطّاها الزمانُ فَقَدْ أَتَتْ ... سنونٌ لها في دَنِّها وسنونُ[2]
كأن سُطورًا فوقها فارسيةٌ ... تكادُ وإن طالَ الزمانُ تَبينُ
لدى نَرْجسٍ غضٍّ القطافِ كأنَّه ... إذا ما منحناهُ العيونَ عيونُ
مخالفةٌ في شَكْلِهِنَّ فصفرةٌ ... مكانَ بياضٍ ، والبياضُ جُفونُ[3]
فصدَّقَ ظَنّي ، صدَّقَ اللهُ ظنَّه ... إذا ظنَّ خيرًا ، والظنونُ فُنونُ

قال : فقلتُ له : أَحْسَنْتَ واللهِ ، وأَجَدْتَ ، وأنتَ واللهِ أَشْعَرُ أهلِ مِصْرِكَ ، قال : إيْ واللهِ وأَشْعَرُ الجِنِّ والإنسِ !

قلت : نَعَمْ ! لولا أنّك لَحَنْتَ ، فَأَجْرَيْتَ نونَ الجَمْعِ ، وهي منصوبةٌ ، وهذا لا يَحْسُنُ بمثلِكَ من أهل العِلْمِ ، فقال : إنَّ القوافي تَحْتَمِلُ هذا ، ومثلُه كثيرٌ ، أما سَمِعْتَ قول سُحيم بن وَثيل الرِّياحي[4] .

أخو خمسينَ مُجْتَمعٌ أَشُدِّي ... وقد جاوَزْتُ حَدَّ الأربعينِ[5]

---

(١) تقدم بعض هذه الأبيات ، وهي في الديوان ٥٩٨ و ٥٩٩ .
(٢) يروى في الديوان (شمولًا ، تخطتها المنون ،...) .
(٣) يروى في الديوان : مكان سواد ... ولعله الصواب .
(٤) هو سحيم بن وثيل بن عمرو ، الرياحي ، اليربوعي ، الحنظلي ، التميمي ، شاعر مخضرم ، عاش في الجاهلية والإسلام ، وناهز عمره المائة ، كان شريفًا في قومه ، نابه الذكر ، توفي حوالي ٦٠هـ .
(٥) الموشح ٣٤٧ .

وقد اسْتَظْرَفَ الناسُ قولَ أبي نُواس في قَدْر الرُّقاشي – ولا أراه حُلْوًا لإفراطِهِ – وهو :

ودهماءَ تُرْسيها رِقاشِ إذا شَتَتْ مركّنةِ الآذانِ أمِّ عيالِ[1]
يغضُّ بحيزومِ البعوضةِ صَدْرُها وينضجُ ما فيها بعودِ خِلالَ[2]
وتَغلي بذكرِ النارِ من غير حَرِّها وتُنْزِلُها عَفْوًا بغير جعالِ[3]
هي القِدْرُ قِدْرُ الشيخِ بكرِ بنِ وائلٍ ربيعِ اليتامي عامَ كلِّ هزالِ

ومثلُه قولُهُ :

عُتِّقَتْ حتّى لو اتَّصَلَتْ بلسانٍ ناطقٍ وفمِ
لاحْتَبَتْ في القومِ مائلةً ثمّ قصّتْ قِصَّةَ الأُمَمِ[4]

ويَسْتَجيدُه خَلْقٌ كثيرٌ ، وليس عندي بالمحمودِ ؛ لِمَا فيهِ من الإفراط .

وله معنى لم يُسْبَقْ إليه بإجماعٍ ، وهو قوله[5] :

تُدارُ علينا الرَّاحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بأنواعِ التّصاويرِ فارسُ[6]
قَرارَتُها كسرى وفي جَنَبَاتِها مَهًا ثوَّرتْها بالقِسِيِّ الفوارسُ[7]
فللرّاح مازُرّتْ عليه جيوبُها وللماءِ مادارتْ عليه القَلانِسُ[8]

وقد أكثَرَ العُلماءُ من وَصْفِ هذا المعنى وقولِهِم فيه : إنه معنى مبتدعٌ[9] .

---

(١) الأبيات في الديوان ٥٢٧ ، والدهماء : السوداء .

(٢) يروى في الديوان : يغص بحيزوم الجرادة صدرها وينضج ما فيها اتقاد ذبالِ .

(٣) يروى : (وينزلها الطاهي ...) والجعال : الخرقة تنزل بها القدر .

(٤) البيتان في الديوان ٥٣٧ .

(٥) الخبر في المثل السائر ٢/ ١٣ . وأورده صاحب شرح أبيات المغني عن المثل السائر ٦/ ٩٠ .

(٦) الأبيات في الديوان ٣٦١ ، والعسجدية ؛ نسبة إلى العسجد ، أي الذهب .

(٧) يروى في الديوان : (... مهًا تدريها ...) والقرارة : القعر .

(٨) يروى في الديوان : (فللخمر ...) والجيوب : جمع جيب ، وهو طوق القميص .

(٩) من هؤلاء العلماء الذين وصفوا هذا المعنى بالإبداع ، الجاحظ بقوله : مازال الشعراء يتناقلون المعنى قديمًا وحديثًا إلا هذا المعنى ، فإن أبا نواس انفرد بإبداعه » . انظر المثل السائر ٢/ ١٣ ، وشرح أبيات المغني ٦/ ٩٠ .

قال محمد بن يزيد الثمالي المعروف بالمبرّدِ[1] : حَدّثني صالحُ بنُ عبدِ الوهّابِ : إنَّ العباسَ بنَ الأَحنَفِ كان من عربِ خراسانِ ومنشؤُهُ ببغدادَ[2] ، ولم تَزَلْ العلماء تُقَدِّمُهُ على كثيرٍ من المحدثين ، ولا تزالُ قَدْ تَرى له الشّيءَ البارعَ جدًّا ، حتّى تُلحِقَهُ بالمحسنين . ورأيتُ جماعةً من الرُّواةِ للشّعْرِ يُقدِّمونَهُ ، وكانَ العباسُ من الظُّرفاءِ ولم يكنْ من الخُلعَاءِ ، وكان غَزِلًا ، ولم يكنْ فاسِقًا ، وكانَ ظاهرَ النعمةِ ، ملوكيَّ المذهبِ ، شديدَ التَّرفِ ، وذلك بَيِّنٌ في شعرِهِ وكان قَصْدُهُ الغزلَ وشُغْلُه النسيبَ ، وكان حُلْوًا مَقْبولًا ، غَزِلًا غزير الفكرِ ، واسعَ الكلامِ ، كثيرَ التّصرُّفِ في الغزلِ وحده ، ولم يكنْ هَجّاءً ولا مدّاحًا .

وقد عابوا على العباس بن الأحنف[3] إدخالَهُ في الغزلِ هذا البيتَ :

فإن تَقْتُلوني لا تَفوتُوا بِمُهجْتي مصاليتَ قَوْمي من حنيفةَ أو عِجْلِ[4]

كما عِيبَ على الفَرَزْدَقِ قولَهُ[5] :

ياأختَ ناجيةَ بنِ سامةَ إنّني أَخشى عليكِ بنيَّ إنْ طَلَبوا دمي[6]

وقالوا : ما لِلمُتَغَزِّلِ وذِكْرِ الأولادِ والاحتجاجِ بِطَلَبِ الثاراتِ[7] ، هَلّا قال كما قال جريرٌ[8] :

---

(١) الأغاني ٨/ ٣٥٣ .

(٢) انظر البداية والنهاية ١٠/ ٢٠٩ وهذا يتفق معها ، وفي الأغاني ٨/ ٣٥٢ والشعر والشعراء ٥٢٥ أنه من بني حنيفة وليس من خراسان . وفي تاريخ بغداد ١٢/ ١٢٧ أن أهله انتقلوا من البصرة إلى خراسان ونشأ هو ببغدادَ ، ومات بالبصرة ، سنة ١٩٢هـ .

(٣) الموشح ٣٥٧ .

(٤) ديوان العباس ١١٩ .

(٥) البيت في ديوان الفرزدق ٧٧٨ .

(٦) هو همّام بن غالب بن صعصعة التميمي ، من أهل البصرة وهو أحد ثالوث الهجاء مع الأخطل وجرير ، كان لا ينشد الخلفاء إلا قاعدًا وتوفي ١١٠هـ .

(٧) ورد تهجين قول الفرزدق برواية أخرى هي : « فلعمري إنه خلاف الغزل وما قال الحذاق ؛ فإنّ قتيل الهوى عندهم لايُوَدَى ولا يُطْلَبُ بدمه . انظر الموشح ١٤٥ .

(٨) هو جرير بن عطية بن حذيفة اليربوعي ، عاش ومات في اليمامة ٢٨ – ١١٠هـ . تهاجى هو والفرزدق والأخطل ، ونال أعطيات الخلفاء .

.... قَتَلْنَنا ثم لم يُحْيِينَ قَتْلانـا[1]

وفي المحدثين[2] إسرافٌ وتجاوزٌ ، وغُلُوّ ، وخروجٌ عن المقدارِ ؛ من ذلك قولُ بِكْرِ بنِ النَّطَّاح[3] .

تَمْشي على الخَزِّ من تَنَعُّمِها فَيشْتَكى رِجْلها من النَّـزْفِ
لو مَرَّ هارونُ في عساكِرِهِ ما رَفَعَتْ طَرْفَها من السَّجْفِ[4]

وأخطأ محمّدُ بن يَسير في قوله[5] .

ولو قَنِعْتُ أتاني الرِّزْقُ في دَعَةٍ إنَّ القُنوعَ الغِنى لاكَثْرَةُ المال[6]

لأنَّ القُنوعَ إنما هو السؤالُ ، والقانعُ : السائِلُ ، قالَ الله تباركَ وتعالى ﴿ فكلُوا منها وأَطْعِموا القانِعَ والمُعْتَرَّ ﴾[7] فالمُعْتَرُّ : الذي يتعرَّضُ ولا يَسْأَلُ ، يقال : قَنع يَقْنَع قُنوعًا : إذا سَأَلَ ، فهو قانِعٌ لا غيرَ ، وإذا رَضِي ، قِيلَ : قَنع يَقْنَعُ قَناعةً ، فهو قانِعٌ وَقنِعٌ جميعًا .

قال محمد بن يزيد الثمالي النحوي[8] : حدَّثني الرِّياشيُّ[9] عن الأصمعي ، قال : كان ابنُ هُبَيْرَةَ – وهو أميرُ العراق – يَقْسِمُ المالَ بين أصحابِهِ ويقولُ :

(١) ديوان جرير ٥٩٥ ، وصدره : (إن العيون التي في طرفها حَوَرٌ ...) .
(٢) الموشح ٣٦٦ .
(٣) هو أبو وائل بكر بن النطاح الحنفي ، شاعر غزل ، من فرسان بني حنيفة ، من أهل اليمامة ، انتقل إلى بغداد في زمن الرشيد ، واتصل بأبي دلف العجلي ، فجعل له رزقًا سلطانيًا ، عاش به إلى أن توفي عام ١٩٢هـ .
(٤) البيتان في الموشح ٣٦٦ .
(٥) هو محمد بن يسير الرياشي البصري ، شاعر من أهل البصرة كان مولى لبني أسد ، وكان في عصر أبي نواس وعُمِّرَ بعده حينًا ، وتوفي نحو ٢١٠هـ .
(٦) البيت في الموشح ٣٦٧ .
(٧) سورة الحج ، آية : ٣ .
(٨) الخبر في الفاضل للمبرد ٣٤ .
(٩) هو أبو الفضل العباس بن الفرج الرياشي اللغوي البصري ، روى عن الأصمعي وأبي عبيدة معمر بن المثنى ، وكان ثقة عارفًا بأيام العرب ، توفي سنة ٢٥٧هـ .

لاتَبْخَلَنَّ بدنيا وهي مُقْبِلَةٌ — فليسَ يَنْقُصُها التَّبذيرُ والسَّرَفُ
فإنْ تولّتْ فأحرى أن تجود بها — فالشكر منها إذا ما أدبرت خَلَفُ[1]

وقال خَلَفٌ الأَحْمَرُ[2] يَهْجُو رَجُلًا باللِّواطَ :

أَتَتْرُكُ في الحلالِ مَشَقَّ صادٍ — وتأتي في الحرام مَدارميمِ
وتَعْلو في جبال الحَزْنِ ظُلْمًا — فَبِئْسَ تجارةُ الرَّجلِ الحكيمِ[3]

وقال بعضُ المتقدّمين[4] - وأظنُّهُ يحيى بنَ أكثم[5] :

إذا قَلَّ ماءُ الوَجْهِ قَلَّ حياؤهُ — ولا خيرَ في وَجْهٍ إذا قَلَّ ماؤهُ
إذا قَلَّ مالُ المَرْءِ قَلَّ صديقُهُ — وضاقَتْ عليهِ أرضُهُ وسماؤهُ
إذا قَلَّ مالُ المَرْءِ لم يُرْضَ عَقْلَهُ — بنوهُ ولم يَغْضَبْ له أقرباؤهُ
وأصْبَحَ لا يدري وإن كانَ حازمًا — أَقُدّامُهُ خيرٌ لـه أَمْ وَراؤهُ
إذا المرءُ لم يَخْتَرْ صديقًا لنفسِهِ — فنادِ به في الناسِ ، هذا جزاؤهُ[6]

وقال آخرُ :

لأشكرنّكَ معروفًا هَمَمْتَ بِهِ — إنَّ اهتمامَكَ بالمعروفِ مَعْروفُ
ولا أَلومُكَ إنْ لم يُمْضِهِ قَدَرٌ — فالشيءُ بالقَدَرِ المجلوبِ مَصْروفُ[7]

---

(١) البيتان في النويري ٣/ ٢٠٦ ، وينسبان في غرر الخصائص ٣٣١ لطاهر بن الحسين ، وهما في العقد الفريد ١/ ١١٤ بلا عزو .

(٢) هو خلف بن حيان ، المعروف بالأحمر ، راوية ، عالم بالأدب وشاعر من أهل البصرة ، وهو معلّم الأصمعي ، وقيل إنه كان يضع الشعر وينسبه إلى العرب ، وتوفي نحو ١٨٠هـ .

(٣) البيتان في الكنايات للجرجاني ٢٩ .

(٤) انظر الفاضل ٤٣ .

(٥) هو يحيى بن أكثم بن محمد التميمي المروزي ، قاض ، عالي الشهرة ، ولد بمرو عام ١٥٩هـ ، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها ، فولّاه قضاء البصرة ، ثم قضاء القضاة ببغداد ، وتوفي ٢٤٢هـ .

(٦) الأبيات في الفاضل دون عزو ، وتنسب إلى صالح بن عبد القدوس وهو الأرجح ، انظر ديوانه ٥١ .

(٧) البيتان في محاضرات الراغب ١/ ٢٣٣ ، والنويري ٣/ ٢٥١ برواية : بالقدر المحتوم . وفي مجموعة المعاني معزوّان إلى محمد بن حازم الباهلي ، وهما في كلمات مختارة لعبد الأعلى في خير ، وهما في الفاضل ٩٦ . وعيون الأخبار ٣/ ١٦٥ ، والعمدة ٢/ ١٢٧ .

وأنشدني بعضُ أصحابِنا :

إذا أَنْتَ لم تَحْفَظْ لِنفسِكَ سِرَّها فَسِرُّكَ عند الناسِ أَفْشَى وأَضْيَعُ[١]

وكنَّا عند محمد بْنِ عيسى بن عبد الرحمن الكاتب[٢] ، ومعنا عليُّ بنُ الجَهْم[٣] فأرادَ الانصرافَ ، فقالَ له محمد بنُ عيسى : لو مَتَّعْتَنا بنفسِكَ .. فقالَ له : إنَّهُ بَلَغَني شيءٌ ، وأَظُنُّنِي مَأْزُورٌ في قعودي ، فَنَقَصَ في عَيني ، وإنما هو مَوْزورٌ .

ولمّا قالَ عبدُ الصمدِ بنُ المعذّل[٤] :

رَأَيْـــتُكَ مَنْظَـــرًا عُجْبًـــا غـــداةَ النَّحْـــرِ بالـــبَصِرَه[٥]

فقد أَخطأَ في قولِهِ : البَصِرَة .

وَلحَنَ في قولِهِ :

إنَّ أبـــا رُهْـــمَ في تكرُّمِـــهِ بلَّغَـــهُ اللهُ مُنْتَهـــى هِمَمِـــهْ[٦]

لأنه تَرَكَ صَرْفَ ما يَنْصَرِفُ ، وهو رُهْم .

وبنو المنجم[٧] ينكرونَ على عبدِ الصَّمَدِ قولَهُ :

قُـــلْتُ إذ عِيـــبَتْ هَدِيَّتُكـــم إنما أُهْـــدى الـــذى أَكَـــلا[٨]

---

(١) البيت في موشّى الوشاء ٣٠ ، والنويري ٦/ ٨٣ ، والفاضل ١٠١ ، ولباب الآداب ٢٤٣ ، ومحاسن الجاحظ ٢٧ .

(٢) الخبر في الموشح ٤٢٦ .

(٣) هو علي بن الجهم بن بدر من بني سامة ، عاش في بغداد معاصرًا لأبي تمام ، خصّ المتوكل بمدائحه ، ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان ، ثم انتقل إلى حلب ، ومات فيها ٢٤٩هـ .

(٤) هو عبد الصمد بن المُعَذَّل بن غيلان العبدي ، من بني عبد القيس من شعراء الدولة العباسية ، ولد ونشأ في البصرة ، كان هجّاء ، شديد المعارضة ، سكّيرًا ضمّيرًا ، توفي نحو ٢٤٠هـ :

(٥) البيت في الموشح ٤٢٦ .

(٦) البيت في الموشح ٤٢٦ .

(٧) يعني أحمد وعليّ ابني المنجم وكانا أديبين مشهورين ، ولهما رسائل في نقد الشعراء .

(٨) البيت في الموشح ٤٢٦ .

وغيّروهُ فَجَعَلُوا مكانَ الذي (كَمَا) ، فقالوا : « إنما أُهدى كَمَا أُكلا » .

وبَعَثَ ابنُ أَبي عون حاجبُ محمَّد بنِ عبد الله بنِ طاهر إلى محمّد بأنوارٍ من بُسْتانِهِ وريحانٍ ، وكَتَبَ مَعَهُ[1] :

قد بَعَثْنا بطيِّبِ الـريحانِ ... خيرَ ما قد جُنى من البستانِ
قـد تَخَيَّرْتُـهُ لخيـرِ أميـرٍ ... زانَهُ اللهُ بالتُقـى والبيـانِ

فوقَّع على ظَهْرِ رُقْعَتِهِ :

عونُ ياعونُ قد ضَلَلْتَ عن الـ ... ـقَصْدِ وعُمِّيْتَ عن دَقيقِ المعانِي
حَشْوُ بيتَيْكَ «قَدْ وقَدْ» فإلى كَمْ ... قَدَّكَ اللهُ بالحُسَامِ اليماني

وقال محمودُ بنُ مروانَ بنِ أبي حَفْصَةَ :

لي حِيَلةٌ فيمَنْ يَنِـمْ ... مُ وليس في الكذّاب حيلهْ
مَنِ كانَ يَكذِبُ مايُريـ ... ـدُ فحيلتى فيه قليـلْ[2]

وقد ناقَضَ هذا الشاعِرُ ، لأنّه قالَ : « وليس في الكذّاب حيلة » ثم قالَ : « فحيلتي فيه قليلة » .

وأَنْشَدَني سُليمانُ بنُ عبدِ الله بن طاهر لنفسِهِ[3] .

وَقَدْ مَضَتْ لي عشرونانِ ثِنْتانِ[4]

فقلت له : أيُّها الأميرُ ، هذا لحْنٌ ، لأن إعرابًا لا يدخلُ على إعرابٍ .

وعرضَ رجلٌ على بشار[5] شعرًا له ، فقال : ياهذا أخبئْ هذا الشعرَ كما تُخبئُ سَوْأَتَكَ[6] .

---

(١) الخبر والأبيات في الموشح ٤٣١ . انظر الموشح ٤٣٢ .
(٢) الموشح ٤٣٢ .
(٣) توفي ٢٦٥هـ . ولأخيه عبيد الله رثاء به في وفيات الأعيان ٣/ ١٢٣ .
(٤) الموشح ٤٤٠ .
(٥) الموشح ٤٥٢ .
(٦) هو بشار بن برد ، العقيلي بالولاء ، أصله من طخارستان ، كان أعمى ، ونشأ في البصرة ، وقدم بغداد وأدرك الدولتين ، وكان أخبرَ الناس بالشعر ، ولد نحو ٩٥هـ وتوفي ١٦٧هـ .

ولما تراجَعَ الشِّعْرُ بين عبدِ الله بن محمد بن أبي عُيينة بن المهلَّبِ ابن أبي صُفْرةَ ، وبين مروانَ بنِ سعيد بن عبّاد بنِ حبيبِ بن المهلَّبِ ابن أبي صِفرة ، قال مروانُ لعبدِ اللهِ :

اكففْ لسانَكَ عَنّي أيُّها الرَّجُلُ ... وارْتَعْ عليكَ فإني شاعرٌ جَدِلُ
قد عِبْتَ من شعرِنا ما لو تُكلَّفُهُ ... ضاقَتْ عليكَ فِجاجُ الأرض وَالسُّبُلُ
والشعرُ موردُهُ فينا ومصدرُهُ ... وأنتَ عن حَوكِهِ بالغَزْلِ مُشْتَغِلُ
فانْزَعْ عن الشِّعرِ لا تَلْهَجْ بصَنْعَتِهِ ... ففي جراحِكَ عن تحبيرِهِ شُغُلُ[1]

وهي أكثرُ من هذا .

فَرَدَّ عليه عبدُ اللهِ من أبيات :

مَرَّتْ بنا إبلٌ تَهْوي إلى هَجَرٍ ... بالتَّمْرِ خُسْرانَ ما تَهْوي به الإبلُ
تهوي بما في غَدٍ يبقى لصاحبِهِ ... منه العَويلُ ومنه الويلُ والهَبَلُ[2]

فقال مروانُ :

مابالُ شعركَ مُلْتاثًا ومُخْتَلِفا ... بيتًا ثَنِيًّا ، وبيتًا ساقِطًا خَرِفا[3]
قد حاولَ الشِّعرَ حتى شاب حاجبُهُ ... فلم يُجِدْ وَسَطًا منه ولا طَرَفا
وقد مَلأْتُ بشعري قلبَه رُعُبًا ... فاسْتَشْعَرَ الذُّلَّ بعد الكِبْرِ والتَحَفا
لما أَتَتْهُ قوافينا مثقّفةً ... تساقَطَتْ حَسَراتٍ نفسُهُ أَنَفا
لا تَكْلَفَنّ جوابي في مناقضةٍ ... فلستَ مني وإن أَحْسَنْتَ مُنْتَصِفا
وقد رأيتُكَ ذا لُبٍّ وذا أَدَبٍ ... لكنّ شِعْرَكَ إذْ جارَيْتَني وَقَفا
فانْزَعْ عن الشعر إذْ سُدّتْ مسالِكُهُ ... لا تَخْبِطَنَّ ظلامَ الليل مُعْتَسِفا
واعْمد لشعري فكُنْ لي فيه راويةً ... فإنَّ في ذاكَ من تحبيرِهِ خَلَفا[4]

---

(١) الأبيات في الموشح ٤٥٥ .
(٢) البيتان في الموشح ٤٥٥ .
(٣) الالتياث : الاختلاط .
(٤) الأبيات في الموشح ٤٥٥ .

فأجابه عبدُ اللهِ :

لقد تأمّلتُ هل تأتي بقافيةٍ تكونُ مني بها أو من أخي خَلفا
لو كنْتَ تهجو بشعرٍ فيه قافيةٌ صحيحةُ الوصف قلنا : جَادَ ماوَصَفا
إذًا لَأَعْمَلْتُ نَفْسي في روايتِها وحَمْلِها لكَ ، واسْتَوْدَعْتُها الصُّحُفا
لكنَّ شِعرَكَ لا صَفْوٌ لا كَدَرٌ فأنتَ تجمعُ سُوءَ الكَيْلِ والحَشَفا
فاجعلْ لشعرك ماءً إنه نَفَدَتْ عنه المياهُ ، فقد أَنْفَدْتَه قَشفا
واجْعلْ لشعرِك نورًا يَسْتضيءُ بِهِ فإنّه مِنْ ظلامٍ مُلْبَسٌ سَدَفا
إنَّا إلى الله يامروانُ يابنَ أخي كَم بين حاليك مَسْتورًا ومنكشِفا
أَقَمْتَ حَوْلًا على بيتٍ تقوِّمُهُ فلم تُصِبْ وَسَطًا منه ولا طَرَفا
لو لم أُزُرْكَ لما كانت لِتَبْلُغَني أبياتُ شعركَ حَوْلًا كاملًا عُجُفا
غرائزُ الشِّعر تُبدي عن جواهرِها بالقَصْدِ تَبْتَدِرُ القِرطاسَ والهَدَفا
إذا اللسانُ تَلكّا أن يقومَ بما في القلب منه تلكّا القلبُ أو رَجَفا[1]

قال محمد يزيد الثمالي : وهذه جملةٌ من أخبار الشعراء المحدثين ، وربّما ذَكَرْنا طَرَفًا من أشعارِهم ، منها ما حدَّثني أبو يعقوب الباهلي ، قال : هجا حمّادُ عَجْرَدَ[2] محمَّدَ بنَ سُليمان الهاشمي بقصيدتِهِ التي يقولُ فيها :

له جسْمُ بُرْغوثٍ وعَقْلُ مُكاتَبٍ وغُلْمَةُ سِنَّوْرٍ يبيتُ يُوَلْوِلُ[3]

فأهدرَ محمد بن سليمان دمَهُ ، فَعَلِمَ حمادُ عَجْرَدَ أَنَّه لا مُقامَ له بالبصرة ، فمضى إلى قبر أبيهِ سُليمان بن علي بن عبد الله بن العباس مُسْتَجيرًا به ، وقالَ في ذلك :

لم أَجِدْ لي من الأَنامِ مُجيرًا فاسْتَجرْتُ القبورَ والأحجارا
غير أني جَعَلْتُ قبرَ أبي أيُّـ ـوبَ لي من حوادث الدَّهْرِجارا

---

(١) الأبيات في الموشح ٤٥٦ .
(٢) هو حماد بن يونس بن كليب السوائي ، من أهل الكوفة ، نادم الوليد بن يزيد ، وتوفي ١٦١هـ .
(٣) الأبيات والخبر في طبقات ابن المعتز ٦٧ .

وحقيقٌ لمن يجاورُ ذاكَ الـ ـقبرَ أن يأمنَ الرّدى والعِثارا[1]

وحدَّثني العَوفي قال : أُخِذَ صالحُ بنُ عبد القدوس في الزندقة[2] ، فأُدْخِلَ على المهدي ، فلما خاطبه أُعْجِبَ به ، لغزارةِ أَدَبِهِ وعِلْمِهِ وبراعتِهِ ، وبما رأى من فصاحتِهِ وحُسْنِ بيانِهِ ، وكَثْرةِ حِكْمَتِهِ ، فَأَمَرَ بتخليةِ سبيلِهِ ، فلما وَلَّى ردَّهُ وقال : أَلَسْتَ القائلَ :

وإنّ من أدّبْتُهُ في الصِّبا كالعودِ يُسقَى الماءَ في غرسِهِ
حتّى تراهُ مُورِقًا ناضِرًا من بعد ما أَبْصَرْتَ من يُبسِهِ
والشيخ لا يتركُ أخلاقَهُ حتى يُوارى في ثرى رمسِهِ
إذا ارعوى عادَ إلى جهلِهِ كذي الضّنى عاد إلى نُكْسِهِ[3]

قال : نَعَمْ ياأميرَالمؤمنين ، قال : وأنتَ لا تَتْرُكُ أخلاقَكَ ؟ ونحنُ نحكُمُ في نَفْسِكَ بِحُكْمِكَ ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ[4] .

وحَدَّثني محمدُ بنُ عامر الحنفي قال : كان ابنُ مناذر مولى لبني يَربوعٍ[5] ، وكان في أولِ أمرِه مستورًا ، حتى عَلِقَ عبدَ المجيد الثقفي فانْهَتَكَ سِتْرُهُ ، فلمّا ماتَ عبدُ المجيد خَرَجَ إلى مكّةَ، فلم يزلْ بها مجاورًا، وكان يجالسُ سُفيان بن عيينة[6]، وكان

---

(١) الأبيات والخبر في طبقات ابن المعتز ٦٧ .

(٢) هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله الأزدي الجذامي ، شاعر حكيم كان متكلمًا يعظ الناس في البصرة ، وله مناظرات مع أبي الهذيل العلاف ، توفي نحو ١٦٠هـ .

(٣) الأبيات في ديوانه ٧٣ ، وفي فوات الوفيات ١/ ١٩١ ، وتاريخ بغداد ٩/ ٣٠٣ .

(٤) انظر الخبر من جهات مختلفة وروايات أخرى في الوفيات ٢/ ٤٩٢ ، وطبقات ابن المعتز ٨٩ ، والمصادر المتقدمة .

(٥) هو محمد بن مناذر ، شاعر كثير الأخبار والنوادر ، وكان من العلماء بالأدب واللغة ، وتفقه وروى الحديث ثم تزندق وغلب عليه اللهو والمجون ، واتصل بالبرامكة ، وتوفي ١٩٨هـ .

(٦) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، محدّث الحرم المكي ، ولد في الكوفة ١٠٧هـ . وسكن مكة ، وتوفي ١٩٨هـ .

سفيانُ يسألُهُ عن غريبِ الحديثِ ومعانيه فيجيبُه عن ذلك[1] . وفي مَدْحِ هارون يقول ابنُ مُناذر قصيدتَه التي في نسيبِها :

هل عندكُمْ رُخْصةٌ عن الحَسَنِ الـ ... ـبَصْريّ تُرْوَى أو ابن سِيرينا[2]
إنَّ سِفاهًا بذى الجلالة والشَّـ ... ـيْبة أنْ لّا يزالُ مفتونا
لَبِسْتُ ثوبَ الصِّبا وبادقَه ... وقد مَضَتْ من سِنِيّ سِتُّونا
فلو سَأَلْنا بحُسْنِ وجْهِكَ يا ... هارونُ صوبَ الغمامِ سُقِينا[3]

وحدَّثني جعفرُ بنُ إسحاق المهلبي ، قال : سَمِعْتُ إسحاقَ بن إبراهيم الموصليّ يقول[4] : ماتَتْ ابنةُ عَمٍّ للمنصورِ ، فَحَضَرَ المنصورُ دَفْنَها ، فلمّا صارَ على شَفيرِ القَبْر إذا هو بأبي الشَّمَقْمَقِ ، فقالَ له :[5] ما أَعْدَدْتَ لهذا الموضع ؟ قال : ابنةَ عَمِّ أميرِ المؤمنين ، فَضَحِكَ المنصورُ في ذلك الموضع ، على أنّه قليلُ الهَزْل[6] .

وحدَّثني ابنُ أبي حَبْرَة قال : أبو حَيّة النُّميري[7] يَرْوي عن الفرزدقِ ، وهو من أَهْلِ البَصْرة ، واسمُهُ الهَيْثَم بنُ الرّبيعِ ، وكان من أكذبِ الناس . قال ابنُ أبي

---

(١) الخبر في طبقات ابن المعتز ١٢١ ، وفي الشعر والشعراء ٥٥٣ بلا نسبة .

(٢) الحسن البصري هو : الحسن بن يسار ، إمام البصرة ، وأحد العلماء الفقهاء ، ولد بالمدينة ، وتلقى العلم على يد الإمام علي بن أبي طالب ، وسكن البصرة ، وتوفي ١١٠هـ .

ومحمد بن سيرين البصري ، إمام البصرة في علوم الدين ، ومن أشراف الكتاب ، ولد ٣٣هـ ونشأ بزازًا ، في أذنه صمم ، وتفقه ، وروى الحديث ، واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا ، واستكتبه أنس بن مالك ، وتوفي ١١٠هـ .

(٣) الأبيات في الشعر والشعراء ٥٥٣ وطبقات ابن المعتز ١٢١ .

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي ، من أشهر ندماء الخلفاء ، تفرد بصناعة الغناء ، وترك آثارًا واضحة فيه . ولد ببغداد ١٥٥ ، ونادم الرشيد والمأمون والواثق وتوفي ٢٣٥هـ .

(٥) هو مروان بن محمد ، شاعر هجّاء من أهل البصرة ، خراساني الأصل ، زار بغداد في أول خلافة الرشيد ، وتوفي نحو ٢٠٠هـ .

(٦) الخبر في طبقات ابن المعتز ١٢٦ .

(٧) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة ، شاعر مجيد ، وراجز من أهل البصرة ، ومخضرم في الدولة الأموية والعباسية ، وكان جبانًا بخيلًا كذابًا ، اتخذ سيفًا كأنه خشب سماه « لعاب المنية » ، توفي نحو ١٨٣هـ .

حَبْرة : وسَمِعْتُهُ يومًا يقول : عَنَّ لي ظَبْيٌ فرميتُهُ بِسَهْمٍ ، فَرَاغَ الظَّبْيُ عن سَهمي ، فعارَضَهُ السَّهْمُ ، ثم رَاغَ فراوَغَهُ - واللهِ - السَّهْمُ حتّى قَتَلَهُ[1] .

وأَخْبَرَني عليُّ بنُ القاسم قال : قال عليُّ بنُ جبلةَ[2] : زُرْتُ أبا دُلَف العِجْلي ، وكنتُ لا أَدْخُلُ عليه إلا تلقَّاني بِبِشْرِهِ ، ولا أَخْرُجُ من عنده إلا أَتْبعني بِبرِّه ، فلما كَثُرَ ذلك هَجَرْتُهُ أيامًا ؛ حياءً منه ، فَبعَثَ إليَّ أخاه مَعْقِلًا فقالَ : يقولُ لكَ الأميرُ : لِمَ هَجَرْتَنا وَقَعَدْتَ عَنّا ؟ إنْ كُنْتَ رَأَيْتَ تقصيرًا فيما مَضَى فاعْذُرْنا ، فإنّا نَتَلافاه فِيما اسْتُقْبِلَ ، وأَزيدُ فيما تُحِبُّ من بِرِّكَ ، فكَتَبْتُ مَعَهُ إلى أبي دُلَف بهذه الأبيات :

هَجَرْتُكَ لم أَهْجُرْكَ من كُفْرِ نِعْمةٍ ... وهل يُرتجى نَيْلُ الزيادةِ بالكُفْرِ
ولكنّني لما أَتَيْتُكَ زائرًا ... وأَفْرطْتَ في بِرّي عَجَزْتُ عن الشُّكْرِ
فَمِ الآنَ[3] لا آتيكَ إلّا مُسلّمًا ... أَزُورُكَ في الشَهرين يومًا أو الشَّهْرِ
فإنْ زِدْتَني بِرًا تزيّدتُ جَفْوةً ... فلا نَلْتَقي طولَ الحياةِ إلى الحَشْرِ[4]

قالَ : فلمَّا نَظَرَ فيها مَعْقِلٌ اسْتَحْسَنَها - وكان أديبًا شاعرًا ، يُقدَّمُ في الأدبِ على أبي دُلَف - فقال لي : جَوّدتَ واللهِ وأَحسَنْتَ !، أَمَا إن الأميرَ سَيُعْجَبُ بهذه المعاني ، فَلَمّا أَوْصَلَها إلى أبي دُلَف اسْتَحْسَنَها وكتبَ إليَّ :

ألا رُبَّ ضَيفٍ طارقٍ قَدْ بَسطْتُهُ ... وَآنَسْتُهُ قَبْلَ الضيافةِ بالبِشْرِ
أتاني يُرَجّيني فما حالَ دونَهُ ... ودون القِرَى والعُرْفِ من نائلي سِتْري
فلم أَعْدُ أَنْ أَدْنَيْتُهُ وابْتَدَأْتُهُ ... بِبِشْرٍ وإكرامٍ وبِرٍّ على بِرِّ
وَزَوَّدْتُه مالًا يُرجّى نفادُهُ ... وَزَوَّدني مَدْحًا يُقيم على الدهرِ[5]

---

(١) الخبر في الأغاني ١٥/ ٦١ ، وخزانة الأدب ٣/ ١٥٤ والشعر والشعراء ٢٩٩ وطبقات ابن المعتز ١٤٣ .

(٢) هو أبو الحسن علي بن جبلة المعروف بالعكوّك ، ولد أعمى وكان أسود أبرص ، وقال عنه الجاحظ : أحسن الخلق إنشادًا ، له مدائح كثيرة في أبي دلف وحميد الطوسي . وتوفي ٢١٣هـ .

(٣) أصلها (فمن الآن) حذف النون اضطرارًا وهو جائز في الشعر .

(٤) الأبيات في الشعر والشعراء ٧٤٢ ، والأغاني ١٩/ ٢٨٧ ، وطبقات ابن المعتز ١٧١ .

(٥) الخبر مع الأبيات في طبقات ابن المعتز ١٧١ .

ووجَّهَ إليَّ الأبياتَ مع وصيفٍ وألفَ دينارٍ ، وذلك حيثُ يقولُ عليُّ بن جَبلَةَ في قصيدتِهِ الغَرَّاءِ التي سارَتْ في العَرَبِ والعَجَمِ ، وهي التي يقولُ فيها :

إنّمـــا الدنيـــا أبـــو دُلَـــفٍ   بين باديـــــــهِ ومحتضرِهْ
فـــإذا وَلّـــى أبـــو دُلَـــفٍ   وَلّتِ الدُّنيـــا على أَثَـــرِهْ[1]

وحدَّثني محمّدُ بنُ البصريِّ ، قال : كان أبو العتاهية[2] - لسهولةِ شعرِهِ وجودَةِ طَبْعِهِ فيه - رُبَّما قال شِعْرًا موزونًا ليسَ من الأعاريضِ المعروفةِ ، وكان يلعَبُ بالشِّعْرِ لَعِبًا ، ويأخذُ كيفَ شاءَ[3] ، وكان مع اقتدارِهِ في قولِ الشِّعْرِ وسهولتِهِ عليه يُكْثِرُ من عِثارِهِ ؛ وتصابُ سَقَطَاتُهُ ، وكان يَلْحَنُ في شِعْرِهِ ، ويركَبُ جميعَ الأعاريضِ ؛ وكثيرًا ما يركَبُ مالا يخرجُ من العَروضِ ، إذا كان مُسْتقيمًا في الهاجسِ ، فممّا أَخطَأَ فيه قولُهُ :

ولربّمـــا سُئِـــلَ البخيـــلُ   الشـــيءَ لا يَسْوَى فَتيـــلا[4]

لأنَّ الصوابَ « لا يُساوي » ؛ لأنه من : « ساواه يساويه » .

وقولُهُ :

لولا يزيدُ بنُ منصورٍ لما عِشْتُ   هو الذي ردَّ روحي بعدما مُتُّ
واللهِ رَبِّ مِنًى والراقصاتِ بها   لأَشْكُرَنَّ يزيدًا حيثما كُـنْتُ
مازلتُ من ريبِ دهري خائفًا وَجِلًا   فقد كفاني بَعْدَ اللهِ ما خِفْتُ[5]
ما قلتُ في فَضْلِهِ شيئًا لأَمْدَحَهُ   إلّا وَفضْلُ يزيدٍ فوق ما قلتُ

صرَفَ (يزيدَ) في موضعين ، لو لم يصرفْهُ فيهما لا ستقامَ الشِّعْرُ بزحافٍ قبيحٍ .

---

(١) انظر تتمة الخبر في طبقات ابن المعتز ١٧١ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٥١ . وتاريخ بغداد ١١/ ٣٥٩ .
(٢) هو إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني ، شاعر مكثر ، ولد ١٣٠هـ في عين التمر قرب الكوفة ، وسكن بغداد ، وعمل في الجرار وصناعتها ، واتصل بالخلفاء ، وتزهّد في أخريات حياته عن بخل ، وتوفي ٢١١هـ .
(٣) طبقات ابن المعتز ٢٢٩ .
(٤) البيت في الموشح ٣٢٧ .
(٥) أورد الأبيات صاحب الموشح ٣٢٧ ومابعدها .

وحدَّثني شيخٌ من مشايخِ الأَزْدِ ، عن إسحق بن إبراهيم الموصليّ ، قال : كان الرّشيدُ يُقدِّمُ أبا العتَاهية على العَبّاسِ بنِ الأَحنَفِ ويتعصَّبُ لأبي العتاهية تَعصُّبًا شديدًا ، وكنتُ أعارضُهُ بعبّاس بن الأحنف ، فتَخَلَّفني بعضُ أعدائي عندَهُ بأشياءَ كان منها : « وإنّهُ يخالِفُكَ في أبي العتاهية ، على حداثةِ سِنِّهِ ، وقِلَّةِ تجربتِهِ ، وقال لي بَعْدَ ذلك : مَنْ أَشْعَرُ ؟: أبو العتاهية أَم العبّاسُ بنُ الأَحنَفِ ، فَعرفْتُ السَّبَبَ ، فقلت : أبو العتاهية ، قال : فَأَنْشِدْني لهذا ولهذا ، فقلْتُ : بأيِّهما أَبْدَأُ ؟ قال : بعباس ، فأَنْشَدْتُهُ أَجْوَدَ ما أَعْرِفُهُ لَهُ :

أُحْرَمُ منكم بما أقولُ وَقَدْ ... نالَ به العاشقونَ مَنْ عَشِقوا
صِرْتُ كأنّي ذُبالَةٌ نُصِبَتْ ... تُضيءُ للناسِ وهي تَحْتَرِقُ(١)

فقال : أَحْسَنَ ! فأنشدني لأبي العتاهية ، فَأَنْشَدْتُهُ - وأوردتُ عَيْبَهُ - أَضْعَفَ ما أَعْرِفُ لَهُ :

كأنَّ عُتابة من حُسْنِها ... دُمْيةُ قَسٍّ فَتَنَتْ قَسَّها
يارَبِّ لو أَنْسَيْتَنيها بِما ... في جَنّةِ الفِرْدَوسِ لم أَنْسَها
إنّي إذًا مِثْلُ التي لم تَزَلْ ... دائبةً في طَحْنِها كُدْسَها(٢)
حتّى إذا لم يَبْقَ منه سوى ... حَفْنَةِ بُرٍّ خَنَقَتْ نَفْسَها(٣)

وقيل لأعرابي - مرةً -: يُعْجبكَ هذا البيتُ ؟

عُتَيْبُ الساعةَ الساعَهْ ... أموتُ السّاعةَ الساعَهْ(٤)

قال : لا واللهِ ، ولكنّه يَغُمُّني ! قالوا : فما الّذي يُعْجِبُكَ ؟ قال : يُعجِبُني :

جاءَ شقيقٌ عارضًا رُمْحَهُ ... إنَّ بَني عَمِّكَ فيهم رِماحْ

(١) ديوان العباس ١١ ، وطبقات ابن المعتز ٢٥٦ ، والموشح ٣٢٨ .
(٢) الكُدْس : الحفنة من الطعام والتمر والدراهم (اللسان - كدس) .
(٣) الأبيات في ديوانه ٢/ ٦٥ والموشح ٣٢٨ .
(٤) ديوانه ١٧٠ ، ويروى : ألا يا عتبة الساعة ... وهو في الموشح ٣٢٠ ومابعدها تكرر ، والأغاني ٣/ ١٢٦ وطبقات ابن المعتز ٢٢٨ .

هل أَحْدَثَ الدَّهرُ لنا نكْبَةً أَم هَلْ رَقَتْ أم شَقيقُ سِلاحْ[1]

ويُروى أَنَّ أبا العتاهية قال يومًا لابنِ مُناذر بمكّةَ : يا أبا جعفر ، كم بيتًا تقولُ في اليوم ؟ قال : رُبّما قلتُ الخمسةَ ، وربّما قلتُ العشرةَ ، وربّما قلتُ أكثرَ مِنْ ذلك ، وربّما تَعذَّرَ عليَّ ، فكم تقولُ أَنْتَ في اليوم ، يا أبا إسحاق ؟. قال : المَزْحُ والجِدُّ والخصومةُ والحديثُ ، والنادرةُ والعِظَةُ ، كلُّهُ شِعْرٌ ..!

قال ابنُ مُناذر : أنا أَشْهَدُ أَنّكَ صادِقٌ ؛ إذا كنتَ لا تردُّ شيئًا جاءَ نحو :

عُتَيبُ الساعَةَ السّاعَةْ أَموتُ الساعَةَ السّاعَةْ

فكلُّ كلامِكَ شِعْرٌ .

ومِمّا أُنكِرَ على أبي العتاهية قولُهُ لمّا تَرفَّقَ في نَسيبِهِ بعُتْبَة :

إنّي أَعوذُ من التي شَعَفَتْ مني الفؤادَ بآيةِ الكُرْسي[2]

وآيةُ الكُرْسي يهربُ منها الشياطينُ ، ويُحْتَرَسُ بها من الغِيلانِ ، كما رُوِيَ عن ابن مَسْعودٍ في ذلك .

ومما أُنكِرَ عليه من سَفْسَافِ شِعْرِهِ قولُهُ في عُتْبَةَ :

وَلَّهَني حُبُّها وصَيَّرني مِثْلَ جُحَى شُهْرَةً وَمَشْخَلَبَهْ[3]

وقولُه :

ياواهًا لِذكْرِ اللّـ ـهِ ياواهًا وياواها
لَقَدْ طيَّبَ ذِكْرُ اللّـ ـهِ بالتسبيح أفواها

---

(١) البيتان مع الخبر في الموشح ٣٢٠ .

(٢) ديوانه ٢٧١ ، والموشح ٣٢٤ ، وشعف القلب : إذا أحرقه وتيمّه .

(٣) ديوانه ٧٥ ، والموشح ٣٢٤ ، والمُشْخَلَبة : كلمة عراقية ، وهي تتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي ، وقد تسمى الجارية (مَشْخَلَبَة) ، بما يرى عليها من ذلك . انظر اللسان (ش خ لب) وجحى ، شخصية طريفة ، ويقال إنه ثابت بن الدكين ، وكان حكيم زمانه ولقبه حجى ثم حرّف إلى جحى .

أرى قومًـــا يـــتيهونَ ... حُشوشًا رُزِقُواجاهـــا[1]

فمــا أُنْتَــنَ مـــن حَشٍّ ... على حَشٍّ إذا تاهـــا[2]

واسْتَحْسَنَ قومٌ قولَ أبي العتاهية :

حــلاوةُ عَيشِكَ ممزوجــةٌ ... فما تأكُلُ الشَّهْدَ إلا بِسُمٍّ[3]

فالمعنى صحيحٌ ، لأنَّهُ جَعَلَ مثلًا لبؤسِ الدّنيا الممازجِ لنِعِيمها ، والعبارةُ غَيْرُ مُرْضيَّةٍ ، لأنّا لم نرَ أحدًا أَكَلَ شهْدًا بِسُمٍّ .

وأَجْوَدُ منْ قولِهِ لَفْظًا ، وأَصَحُّ معنى قولُ ابن الرّومي[4] :

وهل خُلّةٌ مَعْسولةُ الطَّعْمِ تُجْتَنى ... من البِيضِ إلا حيثُ واشٍ يَكيدُها

مع الواصلِ الواشي وهل تَجتَني يدٌ ... جَني النحلِ إلا حيثُ نَحْلٌ يذودُها[5]

وتذاكرتُ الشِّعْرَ مع محمد بن حبيب[6] فقلت له : لا أعرفُ بمدينة السَّلام أحدًا غيرَ أبي حَفْصٍ ، فَدَخَلَ عليَّ بَعْدَ أيامٍ ، وقال : بَلَغني أنَّكَ تُجيدُ شِعْرَ أبي حَفْصٍ البصري[7] ، فبأيِّ شيءٍ ، فقلتُ : بكلِّ قولٍ صحيحٍ سليمٍ من السَّرَفِ ليس فيهِ

---

(١) ديوانه ٢٨٤ . والموشح ٣٢٥ ، والحشوش ، مما يوضع تحت القِدْر من حطب ليشتعل الموقد . ويروى في الديوان : بها ما رزقوا جاها .

(٢) يروى في الديوان : فما أنتن من زبل على زبل ...

(٣) الديوان ٢٥٠ .

(٤) هو علي بن العباس بن جريج ، أصله رومي ، ولد في بغداد ٢٢١هـ ، وهو من شعراء التصوير الفني في الهجاء ، كان متطيرًا من أصحاب العاهات ، أكثر من هجاء القاسم بن عبيد الله وزير المعتصم ، فأمر مَن دسَّ له السم سنة ٢٨٣هـ حيث مات .

(٥) ديوان ابن الرومي ٤٠٥ ، والموشح ٣٢٦ .

(٦) هو محمد بن حبيب بن أمية بن عمر الهاشمي ، علّامة بالأنساب والأخبار واللغة ، مولده ببغداد ، وكان مؤدبًا ، وتوفي ٢٤٥هـ .

(٧) لم أقف على ترجمة له ، وبعض أخباره في طبقات ابن المعتز ٤١٧ .

تَخْليطٌ ، أليسَ هو القائلَ :

نِعْمـةُ اللهِ لاتُعـابُ ولكــنْ ... رُبَّما اسْتُقبِحَتْ على أقـوامِ
لا يليقُ الغِنى بوجه ابن يَعْلى ... لا ولا نورُ بهجةِ الإنعـامِ
وَسِخُ الثوبِ والعمامةِ والبِـ ... ـرْذونِ، والسَّرْجِ تحته واللجامِ (١)

قال محمَّدُ بنُ يزيدَ الثمالي ؛ ورُبّما أخطأَ الشاعِرُ بشيءٍ غيرِ مسموعٍ في كلامِ العَرَبِ ، كقولِ القائلِ :

وإنّ لنـا أبـا حسنٍ عَليًّـا ... أبٌ بَـرٌّ ونحنُ لـه بنيــنُ (٢)

ومن حديثِ الخُرَيْمي (٣) أنّه شاعر مفلقٌ مَطْبوعٌ مقتدرٌ على الشِّعْرِ وكان يمدحُ الخلفاءَ والوزراءَ والأشْرافَ فيُعطى الكثيرَ ، وله في الغَزَلِ مُلَحٌ كَثيرة ، ومحاسِنُ جَمّةٌ ، وهو القائلُ يَفْتَخِرُ :

ثِقي بجميل الصَّبْرِ منّي على الدهرِ ... ولا تثقي بالصَّبرِ مني على الهَجْرِ
أصابَتْ فؤادي بعد خمسين حِجّةً ... عيونُ الظِّباءِ العُفْرِ بالبَلَدِ القَفْرِ

---

(١) طبقات ابن المعتز ٤١٧ .

(٢) البيت في خزانة الأدب ٣/ ٤١٨ ، ورواه ابن هشام في أوضح المسالك ١/ ٣٩ ، ونسبه المحقق إلى سعيد ابن قيس ، يقوله لمعاوية بن أبي سفيان : وهو يروى :

وكان لنا أبو حسن عليٌ ... أَبًا برًا ونحن له بنينُ

وعلّق عليه البغدادي في الخزانة : « ولنا » كان في الأصل نعتًا لقوله : « أب » . فلما تقدم عليه صار حالًا منه ، ونحن مبتدأ ، وبنين خبره ، وصفته محذوفة بدليل ماقبله ، والتقدير : « ونحن له بنين أبرار » ولولا هذا التقدير لخلا البيت من فائدة » .

وروي البيت : « ألم تر أن والينا عليًا أب برًا .. » .

والوالي من ولي الأمر يليه ولاية ، بكسر الواو فيهما وكسر اللام ، والبر بالفتح . وانظر تعليق محمد محيي الدين عبد الحميد وإعرابه للبيت في أوضح المسالك ١/ ٤٠ .

(٣) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، خراساني الأصل ، وُلِد في الجزيرة الفراتية ، وسكن بغداد ، واتصل بخريم الناعم ، فنسب إليها ، واتصل بكاتب البرامكة محمد بن منصور ، وتوفي ٢١٢هـ .

ومنها :

ولستُ بنظّارٍ إلى جانبِ الغنى ... إذا كانتِ العلياءُ من جانبِ الفَقْرِ
ولكنّنــي مُــرُّ العــداوةِ واتــرٌ ... كثيرُ ذنوبِ الشِّعْرِ والأَسَلِ السُّمْرِ
رميتُ بها أركانَ قَيْسِ بنِ جَحْدَرٍ ... فَطَحْطَحْتُها قَذْفَ المجانيق بالصَّخْرِ[1]

وقد روى قومٌ هذه القَصيدة لأبي سعد قَوْصَرَة ، وليست بشـيءٍ ، وإنما هي للخُرَيْمي .

ومما يُسْتَحْسَنُ له قولُهُ :

ارْضَ لي سوءَ ظنوني ... وحــراراتِ أَنينــي
أنتَ ما تَصْنَعُ بالهَجْـ ... ـرِ كفى سوءَ ظنوني
أو ما يكْفِيكَ أنّي ... بكَ مقطوعُ القرينِ

وهذا الخُرَيْمي من المحسنين المجيدين للشِّعْرِ ، وهو من المشهورين[2] .

قال مؤلِّفُ هذا الكتاب (رحمه الله تعالى) : قَدِم عمارةُ بنُ عَقيل[3] بغدادَ ، فاجتمعَ الناسُ إليه ، وكتبوا شِعْرَهُ ، وسمعوا منه ، وَعَرضوا عليه الأشعارَ ، فقال له بَعْضُهم : هاهنا شاعرٌ يزعم قومٌ أنه أشعرُ الناس طُرًّا ، ويزْعُمُ غيرُهُمْ ضِدَّ ذلك ، فقال : أنشدوني له ، فَأَنْشَدُوه :

غَدَتْ تَسْتَجيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نوى غَدِ ... وعادَ قَتادًا عندها كلُّ مَرْقَـدِ
وأَنْقَذَها من غَمْـرةِ الموتِ أَنَّـهُ ... صدودُ فراقٍ لا صُدودُ تعمُّـدِ
فَأَجْرَى لها الإشْفاقُ دمعًا مُوَرَّدًا ... من الدَّمِ يجري فوق خدٍّ مُوَرَّدِ

---

(١) ديوان الخريمي ١٠٢ ، وطبقات ابن المعتز ٢٩٣ ، وطُحطح القوم ، إذا بُدِّدوا وأُهلكوا .

(٢) ديوانه ١٣٠ ، وطبقات ابن المعتز ٢٩٣ .

(٣) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفي ، شاعر متقدم فصيح ، كان يسكن البادية ويزور الخلفاء فيصلونه ، وكان النحويون في البصرة يأخذون عنه اللغة .

هي البدْرُ يُغنيها تَوَدُّدِ وَجْهِهـا   إلى كُلِّ من لاقَتْ وإنْ لم تَوَدّدِ

ثم قَطَعَ المُنْشِدُ ، فقال عُمارة : زِدْنا من هذا ، فوصَلَ وقال :

ولكنّني لم أَحْوِ وَفْرًا مُجمَّعًـا   فَفُزْتُ بـه إلا بشَمْـلٍ مُبَـدّدِ
ولم تُعطِني الأيامُ نَوْمًا مُسكّنًـا   أَلَـذُّ بـه إلا بنـومٍ مُشَرَّدِ

فقال عُمارة : للهِ دَرُّهُ ! ، لقد تَقدَّم صاحبُكُمْ في هذا المعنى جميعَ من سَبَقَهُ على كَثْرةِ القولِ فيه ، حتى لَحبَّبَ الاغترابَ ، هِيه ! فَأَنْشَدَهُ :

وطولُ مُقامِ المرءِ في الحيِّ مُخْلِقٌ   لديباجَتَيْـهِ فاغْتَـرِبْ تَتَجَـدَّدِ
فإني رَأَيْتُ الشّمْسَ زِيْدَتْ محبّةً   إلى الناس أَنْ ليستْ عليهم بسَرْمَدِ[١]

فقال عُمارة : كَمُلَ واللهِ ، إنْ كانَ الشِّعْرُ بجودةِ اللّفْظِ ، وحُسْنِ المعاني ، واطِّرادِ المُرادِ ، واستواءِ الكلامِ ، فصاحِبُكُمْ هذا أَشْعَرُ الناسِ ، وإنْ كان بغيرِهِ فلا أَدْري[٢] !

ولأبي تمام اسْتخراجاتٌ لطيفةٌ ، ومعانٍ طريفةٌ ، لا يقولُ مِثْلَها البُحْتري ، وهو صحيحُ الخاطِرِ ، حَسَنُ الانتزاعِ ، وشِعْرُ البُحتري أحسنُ استواءً ، وأبو تمام يقول النادرَ والباردَ ، وهو المَذْهَبُ الذي كان أعجبَ إلى الأصمعي ، وما أُشَبِّهُ أبا تمام إلّا بغائصٍ يُخرج الدُّرَّ والمَشْخَلَبَةَ ، ثم واللهِ إنَّ لأبي تمام والبحتري من المحاسِنِ مالو قيسَ بأكثرِ شِعْرِ الأوائلِ ماوُجِد فيه مِثْلُهُ[٣] ، وسَمِعْتُ الحَسَنَ بنَ رجاءٍ[٤] يقول : ما رأيتُ أحدًا قطُّ أعلمَ بجيّد الشِّعْرِ قديمِهِ وحديثِهِ من أبي تمام[٥] .

---

(١) ديوان أبي تمام ١٠٠ .
(٢) انظر الخبر كاملًا في أخبار أبي تمام ٥٩ ومابعدها .
(٣) انظر أخبار أبي تمام ٩٧ .
(٤) هو الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك ، كان والده على الخراج ، وقتل في الطريق إلى سامراء ، وله مع الأدباء مكاتبات لطيفة ، انظر الوفيات ٢/ ٦٧ ، والطبري ٩/ ١١١ .
(٥) أخبار أبي تمام ١١٨ .

ومن أخبارِهِ التي رَوَيْتها في كتابي الفِطَن والمِحَنِ : خرجَ أبو تمام إلى خالد بن يزيد بنِ مَزْيدَ ، والي أرمينية[1] ، فامْتَدَحَهُ ، فأمَرَ له بعشرةِ آلافِ دِرهمٍ ونَفْقةٍ لسَفَرِهِ ، وأمَرَهُ ألّا يُقيمَ إنْ كان عازمًا على الخروجِ ، فَوَدَّعَهُ ، ومَضَتْ أيامٌ ، فركبَ خالدٌ ليتصيّدَ ، فرآهُ تحتَ شجرةٍ وقدّامَهُ زُكرةٌ[2] فيها نبيذٌ ، وغلامٌ بيدِهِ طنبورٌ ، فقال : حبيبٌ ؟ قال : خادمُك وعبدُك ، قال : ما فَعَلَ المالُ ؟ فقالَ :

عَلّمني جودُكَ السَّماحَ فما أبقَـ ـيْتُ شيئًا لَدَيَّ من صِلَتِكْ
ما مرَّ شَهْرٌ حتى سَمَحْتُ به كأنَّ لي قُدْرَةً كمقـدرتِكْ
تُنْفِقُ في اليوم بالهباتِ وفي السّـ ـاعةِ ما تَجْتَبيهِ في سَنَتِكْ
فلستُ أدري من أينَ تُنْفِقُ لو لا أنَّ رَبّي يَمُدُّ في هِبَتِكْ

فأَمَرَ له بعشرةِ آلافِ درهمٍ أخرى فأَخَذَها[3] .

وكان خالدُ بنُ يزيدَ الشَّيْباني بَقيّةَ الشرفِ والكَرمِ ، وأوسعَ الناسِ صَدْرًا في إعطاءِ الشُّعَراءِ ، دَفَعَ إلى عمارةَ بن عَقيل ألْفَ دينارٍ لقوله فيهِ :

تَأْبى خلائقُ خالـدٍ وفعالُـهُ إلّا تجنُّبَ كلِّ أمرٍ عـائبِ
وإذا حَضَرْنا البابَ عند غدائِهِ أَذِنَ الغَدَاءُ لنا بِرَغْمِ الحاجبِ[4]

وأخذ أبو تمام بِمَدْحِهِ له أَضْعافَ هذا[5] ، وما سمعتُ الحَسَنَ بنَ رجاءٍ ذكَرَ قطُّ أبا تمام ، إلّا قال : ذاك أبو التّمام ، وما رَأَيْتُ أَعْلَمَ بكلِّ شيءٍ منه[6] .

---

(1) هو خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني ، كان واليًا على أرمينية أيام الواثق ، وأبوه كان أيام الرشيد قائد شرطته ، وتوفي ٢٣٠هـ .

(2) الزكرة : بالضم ، زق للخمر والخل .

(3) أخبار أبي تمام ١٥٨ ومابعدها . وتخريج الأبيات فيه . والأبيات ليست في ديوانه .

(4) البيتان في الأغاني ٢٠/ ١٨٧ .

(5) أخبار أبي تمام ١٦٣ .

(6) أخبار أبي تمام ١٧١ .

وأنْشَدني عمرُو بنُ حَفْصٍ المِنْقَري لأبي حَنَش النُّميري[1] في رَجُلٍ وَليَ الإمارةَ بَعْدَ أَنْ كانَ حائِكًا :

لِلّهِ سيفُكَ ما أَكَلَّ وقوعَهُ   أيامَ أنتَ بضربِهِ لا تَقْتُلُ
إلّا خيوطًا أُبرِمَتْ طاقاتُها   تُثْنَى بأطرافِ البَنانِ وتُفتَلُ
بيضًا تُباهِي العنكبوتَ بِنسْجِها   كالرَّقِ رقّقَ غزلهُنَّ المِغْزَلُ
مازلتَ تضربُ في الغزول بِحَدّهِ   حتّى حدِبْتَ وزالَ مِنْكَ المِفْصَلُ
أيامَ قِدْرُكَ لا تزالُ نضيجةً   مِنْ أرْدهاجٍ ليس فيه فُلْفُلُ[2]

وجرى ذكرُ أبي تمام عند عبدِ الله بنِ المعتزِّ فلم أُوفِّهِ حقّهُ ، وكانَ في المجلس رجلٌ من الكُتّاب نَعْماني ، ما رأيتُ أحدًا أحفظَ لِشعْرِ أبي تمام منه ، فقال لي : يا أبا العباسِ ، ضَعْ في نفسِكَ من شِئْتَ من الشعراءِ ، ثمَ انظرْ : أيُحْسِنُ أَنْ يقولَ مِثْلَ ما قالَهُ أبو تمام لأبي المُغيث موسى بن إبراهيم الرافقي يعتذرُ إليه :

شَهِدْتُ لقد أَقْوَتْ مغانيكُمُ بعدي   ومَحّتْ كما مَحّتْ وشائعُ مِنْ بُرْدِ[3]
وأنجَدْتُمِ من بعدِ إتهام دِارِكُمْ   فيادَمْعُ أنجِدْني على ساكني نَجْدِ

ثم مرَّ فيها حتى بلغَ إلى قولِهِ في الاعتذارِ :

أتاني مع الركْبانِ ظنٌّ ظَنَنْتُهُ   لَفَفْتُ له رأسي حَيَاءً من المَجْدِ
لقد نكَبَ الغَدْرُ الوفاءَ بساحتي   إذنْ، وسَرَحْتُ الذَّمَّ في مسرحِ الحَمدِ
جَحَدْتُ إذنْ كَمْ مِنْ يدٍ لك شَاكَلَتْ   يَدَ القُرْبِ أَعْدَتْ مُسْتهامًا على البُعْدِ[4]
ومِنْ زمنٍ أَلْبَسْتَنيه كأنَّهُ   إذا ذُكرتْ أيامُه زَمَنُ الوردِ

---

(١) هو حضير بن قيس ، شاعر مقلّ ، له بعض الأخبار في وفيات الأعيان ٢/ ٢٠ – ٢٦ ويقرن إلى جانب بشار وغيره .

(٢) الأبيات في أخبار أبي تمام ١٩٣ .

(٣) الأبيات في الديوان ٢/ ١٠٩ ومابعدها .

(٤) يروى في الديوان : نسيتُ إذن ...

وكيفَ وما أَخْلَلْتُ بعدكَ بالحِجَى ... وأنت فلم تُخْلِلْ بمكْرُمةٍ بَعْدي
أُسَرْبِلُ هُجْرَ القول مَنْ لو هَجوتُهُ ... إذنْ لهجاني عنه معروفُهُ عندي[1]
كريمٌ متى أَمْدَحْهُ أَمْدَحْهُ والورى ... معي ، ومتى ما لُمْتُهُ لُمْتُهُ وَحْدي
فإنْ يكُ جُرْمٌ عَنَّ أوتَكُ هفوةٌ ... على خطأ مني فَعُذْري على عَمْدِ

فقلت : ماسَمِعْتُ أَحْسَنَ من هذا قَطّ ، مايهضُمُ هذا الرجلَ حقَّهُ إلا أَحَدُ رجلين : إما جاهلٌ بعِلْمِ الشِّعْرِ ، ومعرفةِ الكلامِ ، وإمّا عالمٌ لم يَتَبَحَّرْ شِعرَهُ و لم يَسْمَعْهُ[2] .

ومِمّا يُعابُ به أبو تمام قولُهُ :

تُثَفَّى الحربُ منه حين تَغْلي ... مراجِلُها بشيطانٍ رجيمِ[3]

فجعلَ الممدوحَ هو الشيطانَ الرجيم[4] .

ومن سخيفِ شِعْرِهِ قولُهُ :

أَفَعِشْتَ حتى عِبْتَهم قل لي متى ... فَرْزَنْتَ سُرْعةَ ما أرى يابيدقُ[5]
قومٌ إذا اسْوَدَّ الزمانُ تَوضَّحوا ... فيه ، فَغُودِرَ وهو منهم أَبْلَقُ

قال : محمّدُ بنُ يزيدَ الثُّمالي : أَنْشَدَني أحدُ أُصحابِنا قصيدةً لأبي شَراعةَ القَيْسيّ[6] فقلتُ : وهذه القصيدةُ لم يأتِ فيها بمعنى مُسْتَغْرَبٍ ، وإنّما قَصْدُنا فيها الكلامُ الفَصيحُ والمعاني الواضحةُ ، فهي وإن لم تكنْ كقولِ أبي نواس :

---

(١) يروى في الديوان : أألبس هجر ...

(٢) الأبيات والخبر في أخبار أبي تمام ٢٠٣ ومابعدها .

(٣) البيت في الديوان ٣/ ١٩٢ من قصيدة يمدح بها بني عبد الكريم الطائيين . وتثفي : أي وضعت القِدْر على الأثافي ، جمع أثفيّة وهي حجارة الموقد .

(٤) انظر الموشح ٣٧٥ .

(٥) الديوان ٢٨٩ .

(٦) لم أعثر على القصيدة ، فيما عدت إليه من مصادر ، و لم أعثر على ترجمة لأبي شراعة هذا .

أمام خَميسٍ أُرجوانٍ كأنّـهُ   قميصٌ محوكٌ من قنا وجيادِ
فما هو إلّا الدهرُ يأتي بِصَرْفِهِ   على كُلِّ من يَشْقَى به ويُعادي(1)

في البراعةِ والنقاءِ وحُسْنِ الوَصْفِ واسْتقامَةِ اللّفْظِ ، فليست في السقوطِ كقوله :

لقد اتَّقَيْتَ اللهَ حقَّ تقاتِهِ   وجَهِدْتَ نَفْسَكَ فوقَ جُهْدِ المُتَّقي
وأَخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتّى إنَّهُ   لَتَخافُكَ النُّطَفُ التي لم تُخْلَقِ(2)

وكذلك قولُهُ :

هارونُ أَلَّفَنا ائْتِلافَ مَودَّةٍ   ماتَتْ لها الأَحْقادُ والأَضْغانُ
حتّى الذي في الرَّحْمِ لم يكُ صورةً   لفؤادِهِ من خوفِهِ خَفَقانُ(3)

فقال : « لم يكُ صورةً » ثم قال : « لفؤادِهِ من خوفِهِ خَفَقَان » .

وإن لم يكنْ كقول الطائي :

إذا افْتَخَرَتْ يومًا تميمٌ بقوسِها   حِفاظًا على ما وَطَّدَتْ من مناسِبِ
فأنتم بذي قارٍ أمالتْ سيوفُكُمْ   عروشَ الذين اسْتَرْهَنوا قوسَ حاجِبِ(4)

في صحّةِ المعنى وحُسْنِ الاسْتنباطِ ولطافَةِ الغَوْصِ ، فليسَتْ كقولِهِ :

تُثَفّى الحربُ منه حينَ تَغلي   مراجِلُها بشيطانٍ رجيمِ(5)

فجعلَ الممدوحَ هو الشيطانَ الرجيمَ .

ولا في سخف قوله :

أَفَعِشْتَ حتّى عِبْتَهم قُلْ لي متى   فَرْزَنْتَ سُرْعَةَ ما أرى يابيدقُ

---

(1) ديوان أبي نواس ٢٢١ ، والموشح ٣٩٣ .
(2) تقدم البيتان .
(3) تقدم البيتان والتعليق عليهما .
(4) البيتان في ديوان أبي تمام ١/ ٢٠٧ ، والموشح ٣٩٤ ، وخبر قوس حاجب بن زرارة مشهور شرحه التبريزي في ديوان أبي تمام ١/ ٢٠٨ .
(5) تقدم البيت ونقده .

قومٌ إذا اسودَّ الزمانُ توضحوا فيه ، فغُودِرَ ، وهو منهم أَبْلَقُ[(١)]

وإنما ذكرنا اثنين قد أُومئ إلى كُلِّ واحدٍ منهما في وقتِهِ ، وأُغرِقَ في وصفِهِ ، لِتَعْلَمَ ما في المخلوقين من النَّقْصِ ، وأنَّ لكلِّ واحدٍ المذهبَ والمذهبين ونحو ذلك ، ثم يَجْتَذِبُهُ ما فيه من الضَّعْفِ لِتَعْرِفَ مواقعَ الاختيارِ ، وموضِعَ المطلوبِ من قولِ كُلِّ قائلٍ ، إمّا لفصاحةٍ ، وإمّا لإغرابٍ في معنى ، وإمّا لسَرْقٍ لطيفٍ تَبَيَّنَ به حَذْقُهُ ، كُلُّ ذلك وما أَشْبَهَهُ مُتَّبَعٌ مطلوبٌ بِهِ[(٢)] .

قال محمَّدُ بنُ يزيد الثُّمالي أبو العباس : ومن محاسنِ الابتداءاتِ مانذكُرُهُ في كتابنا الرَّوْضَة هذا ، بعد إيراد خبرِهِ[(٣)] ، وهو أنّه بَعْدَ الصُّلْحِ الذي جرى بين المسلمين وصاحبِ الرّومِ وصاحبتُهُمْ يومئذٍ ريني ، فعادَتْ الرّومُ على ريني فَخَلَعَتْها ، وملّكَتْ عليها نَقْفُورَ ، والرومُ تذكُرُ أنَّ نَقفورَ هذا من أولادِ جَفْنَةَ من غسّانَ ، وأنَّهُ قَبْلَ المُلْكِ كان يلي ديوانَ الخِراجِ ، ثم ماتَتْ رِيني بعد خَمْسةِ أَشْهُرٍ من خَلْعِ الرّومِ إيّاها ، فذُكِرَ أنَّ نَقْفورَ لما مَلَكَ واسْتَوْثَقَتْ له الرّومُ بالطّاعةِ ، كَتَبَ إلى الرشيدِ :

من نَقْفُورَ مَلِكِ الرّومِ ، إلى هارونَ مَلِكِ العَرَبِ ، أَمّا بَعْدُ ، فإنَّ الملكةَ التي كانَتْ قَبْلي ، أَقَامَتْكَ مَقامَ الرُّخِّ ، وأَقامَتْ نَفْسَها مقامَ البَيْدَقِ ، فَحَمَلَتْ إليكَ من أموالِها ما كُنْتَ حَقيقًا بِحَمْلِ أَمْثالِها إليها ، لكنّ ذاكَ ضَعْفُ النِّساءِ وحُمْقُهُنَّ ، فإذا قَرَأْتَ كتابي فارْدُدْ ما حَصَلَ قِبلَكَ من أموالِها ، وافْتَدِ نَفْسَكَ بما يَقَعُ به المصادرةُ لكَ ، وإلّا فالسَّيْفُ بيننا وبينَكَ .

قال : فَلَمّا قَرَأَ الرّشيدُ الكتابَ ، اسْتَفَزَّهُ الغَضَبُ ، حتّى لم يُمْكِنْ أَحَدًا من أَنْ ينظرَ إليه دونَ أَنْ يخاطِبَهُ ، وتَفَرّقَ جلساؤه خوفًا مِنْ زيادةِ قولٍ أو فِعْلٍ يكونُ منهم ،

---

(١) تقدم البيتان .

(٢) انظر الموشح ٣٩٤ .

(٣) ورد الخبر مختصرًا في المثل السائر ٣/ ١٠٥ ، والصبح المنبي ٣٩٥ . وورد كاملًا في تاريخ الطبري ٨/ ٣٠٧ وما بعدها .

واستُعْجِمَ الرّأْيُ على الوزير من أَنْ يُشيرَ عليه أو يتركَهُ يَسْتَبِدُّ برأيِهِ دونه ، فدعا بدواةٍ وكَتَبَ على ظَهْرِ الكتابِ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من هارونَ أميرِ المؤمنين ، إلى نَقْفُور كَلْبِ الرّومِ ، قد قَرَأْتُ كتابَكَ ياابْنَ الكافِرة ، والجوابُ ماتراهُ دونَ أَنْ تَسْمَعَهُ ، والسَّلامُ .

ثُمَّ شَخَصَ من يومِهِ ، وسارَ حتَّى أَناخَ بِبابِ هِرَقْلَةَ ، فَفَتَحَ وغَنِمَ واصْطفى ، وأَفَادَ ، وخَرَّبَ ، وحَرَّقَ ، واصْطَلَمَ ، فَطَلَبَ نَقْفُورُ الموادَعَةَ على خَراجٍ يُؤدّيه في كلِّ سَنَةٍ ، فأَجابَهُ إلى ذلك .

فلمّا رَجَعَ من غَزْوتِهِ ، وصارَ بالرَّقةِ نَقَضَ نقفورُ العَهْدَ ، وخانَ الميثاقَ ، وكانَ البَرْدُ شَديدًا ، فَيَئِسَ نَقْفُورُ من رَجْعَتِهِ إليه ، وجاءَ الخَبَرُ بارْتِدادِهِ عَمّا أُخِذَ عليه ، فما تهيّأَ لِأَحَدٍ إخْبارُهُ بذلك ؛ إشْفاقًا عليه وعلى أَنْفُسِهم من الكَرَّةِ في مِثْلِ تلك الأيامِ ، [فَأَخَذَ يحيى بنُ خالد يَبْذُلُ الأموالَ للشعراءِ على أَنْ يقولوا أَشْعارًا في إعلامِهِ ، فكلُّهم أَشْفَقَ من لقائِهِ بِمِثْلِ ذلك إلّا شاعرًا[1] من أَهْلِ جُدَّة] يُكَنّى أبا محمّد عبدَ الله بنِ يوسُف – ويقالُ هو الحَجّاجُ بنُ يوسُفَ التَّيْمي ، [فَنَظَم قصيدةً – وكان شاعرًا مُفْلَقًا وأَنْشَدَها الرَّشيدُ] فقال[2] :

نَقَضَ الّذي أَعْطَيْتَهُ نقفورُ ... وعليه دائرةُ البَوارِ تَدورُ
أَبْشِرْ أميرَ المؤمنين فإنّهُ ... غُنْمٌ أتاكَ به الإلهُ كبيرُ
فَلَقَدْ تباشَرَتِ الرَّعيَّةُ أَنْ أَتَى ... بالنَّقْضِ عَنْهُ وافدٌ وبشيرُ
وَرَجَتْ يمينَك أَنْ تُعجِّلَ غزوةً ... تَشْفي النفوسَ ، مكانُها مذكورُ
أعطاكَ جِزْيَتَهُ وَطَأْطَأَ خَدَّهُ ... حَذَرَ الصوارمِ ، والرّدى محذورُ

---

(١) مابين معقوفين زيادة من المثل السائر والصبح المنبي وعبارة الطبري « فاحتيل له بشاعر من أهل خُرّه » . وفيما أظن أن (خرّة) تصحيف من المحقق لعدم معرفته قراءتها حيث وضعها أيضًا في الحاشية (جنده) وأشار إلى تصويبه ، والاثنتان خطأ ، والصواب (جُدّة) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من المثل السائر .

فَأَجَرْتَهُ من وَقْعِها وكأنَّها ... بأكُفِّنا شُعَلُ الضِّرامِ تطيرُ
وَصَرَفْتَ بالطَّوْل العَساكر قافِلًا ... عنه ، وجارُكَ آمِنٌ مسرورُ
نَقْفورُ إنّكَ حين تَغْدُرُ إنْ نَأَى ... عنك الإمامُ لجاهِلٌ مغرورُ
أظَنَنْتَ حين غَدَرْتَ أنّكَ مُفْلِتٌ ... هَبِلَتْكَ أُمُّكَ ما ظَنَنْتَ غرورُ
ألقاكَ حَيْنُكَ في زواجرِ بَحْرِهِ ... فَطَمَتْ عليكَ من الإمامِ بحورُ
إنَّ الإمامَ على اقْتِسارِكَ قادِرٌ ... قَرُبَتْ ديارُكَ أَمْ نأتْ بك دورُ
ليسَ الإمامُ وإنْ غَفِلْنا غافِلًا ... عَمَّا يَسوسُ بِحَزْمِهِ ويديرُ
مَلِكٌ تَجَرَّدَ للجهادِ بِنَفْسِهِ ... فَعَدُوُّهُ أَبدًا بِهِ مَقْهورُ
يامَنْ يريدُ رِضا الإلهِ بِسَعْيِهِ ... واللهُ لا يَخْفى عليهِ ضَميرُ
لا نُصْحَ يَنْفَعُ من يَغُشُّ إمامَهُ ... والنُّصْحُ من نُصَحائِهِ مشكورُ
نُصْحُ الإمام على الأنام فَريضةٌ ... ولأهلِها كفّارةٌ وطهورُ

فلما فَرَغَ من إنشادِهِ[1] قال الرشيدُ : أَوَقَدْ فَعَلَ نَقْفُورُ ذلك ؟ ثم غزاهُ في بقيّةِ الثَّلجِ ، وحَصَلَ له الفتْحُ[2] .

* * *

تمَّ ماجُمع من نصوص الكتاب

---

(١) في المثل السائر والصبح المنبي : فلما أنهى الأبيات .. أوقد فعل .

(٢) في المثل السائر : وفتح مدينة هِرَقْلَة . وفي الطبري ، زيادة : « فعلم أن الوزراء قد احتالوا له في ذلك ، فكرَّ راجعًا في أشد محنة وأغلظ كلفة ، حتى أناخ بفنائه ، فلم يبرح حتى رضي وبلغ ما أراد » . ثم أورد أبياتًا لأبي العتاهية هي :

ألا نادتْ هرقلة بالخرابِ ... من الملك الموفق بالصوابِ
غدا هارون يرعد بالمنايا ... ويبرق بالمُذَكّرة القضابِ
وراياتٍ يَحِلُّ النصر فيها ... تَمُرّ كأنها قطعُ السَحابِ
أمير المؤمنين ظفرتَ فاسلمْ ... وأبشرْ بالغنيمة والإيابِ

المصادر والمراجع

١ – القرآن الكريم .
٢ – أخبار أبي تمام ، أبو بكر الصولي ، تحقيق خليل عساكر ورفيقيه ، المكتب التجاري للطباعة ، بيروت ، بلا تاريخ .
٣ – أصول النقد الأدبي ، عصام قصبجي ، منشورات جامعة حلب ١٩٩٢م .
٤ – الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠م .
٥ – الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ، مجموعة من المحققين بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٦٥م .
٦ – إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨١م .
٧ – أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ابن هشام ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث .
٨ – تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، دار المعارف ، مصر .
٩ – تاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، الطبعة الرابعة ١٩٨١م .
١٠– تاريخ الأمم والملوك ، الطبري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار التراث .
١١– تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، طبعة القاهرة ، ١٩٣١م .
١٢– خزانة الأدب ، البغدادي ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الخانجي ، ١٩٧٩م .
١٣– ديوان بشار بن برد ، تحقيق الطاهر بن عاشور ، دار المعارف ، ١٩٦٥م .
١٤– ديوان جرير ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .
١٥– ديوان ابن الرومي ، نشره كامل الكيلاني سنة ١٩٢٤م .
١٦– ديوان الخريمي ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .
١٧– ديوان صالح بن عبد القدوس ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .
١٨– ديوان العباس بن الأحنف ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .
١٩– ديوان أبي العتاهية ، دار صادر ، بيروت ، بلا تاريخ .
٢٠– ديوان الفرزدق ، نشره بوشيه ، طبعة باريس ، ١٨٧٥م .
٢١– ديوان أبي نواس ، رواية حمزة الأصفهاني – مخطوط .
٢٢– سمط اللآلي ، أبو عبيد البكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الحديث ، ١٩٨٤م .
٢٣– شرح أبيات المغني ، السيوطي ، طبعة القاهرة ١٣٢٢هـ .
٢٤– شرح ديوان أبي تمام ، الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٦م .

٢٥- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، طبعة عيسى البابي الحلبي ١٣٦٤هـ .
٢٦- الشعر والشعراء ، ابن قتيبة ، طبعة برلين ، ١٩٠٣م .
٢٧- الصبح المنبي عن حيثية المتنبي ، يوسف البديعي ، تحقيق مصطفى السقا ورفيقيه ، دار المعارف بمصر ١٩٦٣م .
٢٨- طبقات الشعراء المحدثين ، ابن المعتز ، تحقيق عبد الستار فراج ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة ، بلا تاريخ .
٢٩- العقد الفريد ، ابن عبد ربه ، تحقيق أحمد أمين ورفيقيه ، لجنة التأليف ١٩٦٥م .
٣٠- عيون الأخبار ، ابن قتيبة ، طبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥م .
٣١- غرز الخصائص الواضحة ، الوطواط الكتبي ، المطبعة الأدبية ، مصر ١٣١٨هـ .
٣٢- الفاضل ، المبرّد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٥٦م .
٣٣- فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي ، طبعة بولاق ١٢٩٩هـ .
٣٤- الكامل ، المبرد ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، دار الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٦م .
٣٥- الكنايات ، الجرجاني ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٢٦هـ .
٣٦- لباب الآداب ، أسامة بن منقذ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٣٥هـ .
٣٧- لسان العرب ، ابن منظور المصري ، بولاق .
٣٨- مجموعة المعاني ، طبعة الجوائب ١٣٠١هـ .
٣٩- محاضرات في النقد العربي القديم ، عبد المحسن بدر ، جامعة بيروت ، ١٩٦٨م .
٤٠- محاضرات الراغب ، الراغب الأصبهاني ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .
٤١- المحاسن والأضداد ، الجاحظ ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٤هـ .
٤٢- المثل السائر ، ابن الأثير ، تحقيق أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، مكتبة نهضة مصر ١٩٦٢م .
٤٣- المقتضب ، المبرد ، محمد عبد الخالق عضيمة ، عالم الكتب ، بيروت .
٤٤- الموازنة ، الآمدي ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العلمية ، بيروت .
٤٥- الموشّى ، الوشاء ، محمد بن إسحاق ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٥٣م .
٤٦- الموشح ، المرزباني ، تحقيق محمد علي البجاوي ، دار نهضة مصر ، ١٩٦٥م .
٤٧- نهاية الأرب في فنون الأدب ، النويري ، طبعة دار الكتب ، ١٩٢٣م .
٤٨- وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .